علاقة النصارى بالمسلمين واليهود

د . كاظم عيدان احمد

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فلقد تميزت التعاليم السماوية بالسماحة والإخاء والتعاون والمحبة للجميع، على أن يعيش الناس في سلام ووئام، لكن الشيطان الذي بارز آدم بالعداوة منذ بداية الطريق كونه فضله عليه، أقسم على نفسه أن يضل ابن آدم ويتمكن منه، إلا من أخلص دينه لله، وتمكن هذا اللعين من نفوس التائهين وملكها حتى أصبحت تسير تبعاً لأوامره، فزرع بين الناس العداوة والبغضاء وكره بعضهم لبعض، فقتل ابن آدم أخاه، وفارق الابن أباه، وألقى في الجب الأخ أخاه، وحسد يعضهم البعض الآخر وتعالى بعضهم على بعض وهذا الكبر والغرور هما اللذان دفعا إبليس ومن بعده من كبراء القوم وعليتهم إلا أنْ يردوا على الأنبياء دعواتهم محتقرين لهم ولأتباعهم مصداقاً لقوله تعـــالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]. مع أنهم كانوا يعلمون علم اليقين صدق هؤلاء الرسل إذ قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2]. فالكبر والعجب والحسد هي الآفات التي منعتهم من قبول الحق، رغم معرفتهم له. وهذه الأمراض النفسية هي سبب العداوة المستمرة بين بني آدم على مختلف الملل

(١) هود/ ٢٧.
(٢) النمل/ ١٤.

والنحل، وهناك سبب آخر لهذه العداوة المستمرة وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

إن هذا السبب يتمثل في جانبين: الأول: هو إيمان المؤمن واستقامته.

والآخر: هو فسق بعض أهل الكتاب وكفرهم ومحاربتهم للحق وأهله[2].

فالمؤمنون بالله تعالى من أتباع الأديان السماوية كلهم أخوة يجمعهم الإيمان أينما كانوا وفي أي زمان عاشوا، تجمعهم قواعد الإيمان المشتركة عبر القرون الممتدة من آدم ونوح إلى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين إذ قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [3].

أما المعاندون الجاحدون فلا يجمعهم مع أهل الإيمان إلا الدعوة إلى دين الله الحق، فان استمروا في كفرهم وضلالهم فلا مولاة لهم، ولا تعاون معهم، ولا مودة بينهم وبين أهل الإيمان. بل يجب على كل مؤمن أن يدين الله تعالى ببغض الكفار ومعاداتهم في الله، وعدم محبتهم أبداً[4].

وإذا تتبعنا الآيات المتعلقة بعلاقة النصارى بأتباع الملل الأخرى نجد القران يفسر لنا طبيعة العلاقة باليهود قساة القلوب بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[5].

---

(١) المائدة/ ٥٩.

(٢) ينظر: الشخصية اليهودية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط/١ دمشق: دار القلم ١٩٩٨م. (٢٢٥).

(٣) البقرة/ ٢٨٥.

(٤) ينظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. بكر بن عبد الله. ط/٤، الرياض: مطابع أضواء البيان ٢٠٠٠م :(٩١- ٩٢).

(٥) البقرة/ ١١٣.

ولقلة الشواهد القرآنية التي تبين علاقة النصارى باليهود اضطررنا إلى الاستعانة بالمظان التاريخية التي تحدثت عن اليهود في حقب التاريخ المختلفة التي تتابعت عليهم بأطوار تأرجحت بين السيادة والخضوع.

في حين جاءت الشواهد التي بينت علاقة النصارى بالمسلمين بنسبة كافية لبيان أبعاد هذه العلاقة ومساراتها.

وقد حددت الآيات الصيغة الواقعية لتلك العلاقة وسنبين ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول: علاقة النصارى باليهود

المبحث الثاني: علاقة النصارى بالمسلمين .

<u>وأخيراً وليس آخراً أقول</u>: لقد بذلت كل ما في وسعي من طاقة، وجهد وعناء، للوصول إلى ما وصلت إليه، راجيا الباري عزوجل، أن يوفقني ولا يخيب رجائي، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبله مني، طالبا المغفرة منه إن أخطأت، وإن أصبت، فهو من توفيقه لي، وآخر دعوانا أن الحمد لله الواحد، الفرد، الصمد، والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى محمد (صلى الله عليه وسلم).

المبحث الأول

علاقة النصارى باليهود

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[١].

منذ المراحل الأولى لدعوة السيد المسيح عليه السلام وعناصر الرفض اليهودي لهذه الدعوة قوية وشديدة لأن مقومات الحق والدعوة لعمل الخير التي جاء بها عيسى عليه السلام تتعارض ووضع اليهود الملتوي، فأصبحت اليهودية قوة رفض ديني قبل أن تكون قوة مقاومة سياسية، فجهزت قوى المقاومة للتعاليم المسيحية[٢]. ويبدو أن السياسة الدينية القديمة اتخذت موقفاً أشد صلابة وأبعد عن التسامح لتقاوم تقدم المسيحية، إذ أن القوم الذين بعث فيهم عيسى عليه السلام كانوا غلاظ الرقاب، قساة القلوب، وقد عكفوا على المادة واستغرقتهم، واستولت على أهوائهم ومشاعرهم حتى أخذ نساكهم القرابين من أشد الناس حاجة وأفقرهم، ثم زعموا أن لهم منزلة دينية لا يساميهم فيها أحد، ولغيرهم المنزلة الدون، وقد رفض عيسى عليه السلام هذا الأمر، وسوى بين البشر في دعوته، فأنكروا عليه ذلك وناصبوه العداء، وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به، وأخذوا يمنعون الناس من سماع دعوته، فلما أعيتهم الحيلة ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله، أخذوا يكيدون له ويحرضون الرومان عليه، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه وانتهى الأمر أن صدر حكم الإعدام صلباً على السيد المسيح عليه السلام [٣].

ثم واجه أصحابه من بعده الحرمان وحدهم دون سائر رعايا الإمبراطورية، وسجلت وفاة عدد غير قليل من أتباع المسيح البارزين، وبعد نحو ثمانين عاماً من نهاية المسيح عليه السلام عوقب تلاميذه الأبرياء بالإعدام.

---

(١) البقرة/ ١١٣.

(٢) ينظر: الأسفار المقدسة (٢٠٨).

(٣) ينظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ط/٣ القاهرة: دار الفكر العربي١٩٦١م. (٢٢- ٢٣).

مما زرع الحقد الأسود في نفوس النصارى على اليهود، بل على كل مخالفيهم[١]. فعندما تسلمت النصرانية مقاليد السلطة العليا لم تكن اقل انشغالاً وتيقظاً من الكشف عن قسوة مخالفيها والاقتداء بهم في سلوكهم، وكان لا بد أن يفيض هذا كله على ما حولهم فيكون الصدام الذي لا رحمة معه، والصدام يدفع إلى الانتقام، والانتقام يورث الثأر، وتظل الدائرة تدور. وبعد سقوط القدس بأيدي الصليبين ذبح عدد كبير من اليهود، إذ يقدر عدد الذين ذبحوا في المدينة المقدسة من المسلمين واليهود سبعين ألفا، فضلاً عمن ذبحوا في أنحاء أوربا، ويضيف بعض المؤرخين أن الصليبين استعدوا لواجبهم المقدس خلال مسيرتهم عبر أوربا بأن ذبحوا اليهود في كل مدينة مروا بها، وأحرقوا بيوتهم، فلما سقطت القدس في أيدي الصليبين، ساقوا اليهود إلى كنيسهم حيث احرقوا، على حين كان اليهود الأوربيين وراء الحملات الصليبية بالمال وتأريث روح العداء ضد الإسلام والمسلمين، سواء كان الدافع أصيلا أو تقية ونفاقاً.

وفي سنة ١٢٩٠م قضى الانجليز على اليهود بالنفي، وتبعهم في ذلك الفرنسيون، وسرت العدوى إلى شعوب أوربا الوسطى. وبلغ الاضطهاد أشده في العقد الأخير من القرن الخامس عشر بإسبانيا والبرتغال، وتفنن الألمان في تعذيب اليهود فكانوا يجردونهم من ملابسهم ويخزونهم بالشوك، ثم يسوقونهم جماعات إلى حفر يحشرونهم فيها، ويغطونهم بالحطب، ويشعلون النار. وحرم على المسيحي طعام اليهودي، ولم يكن يجوز لليهود فتح أبواب مساكنهم أو نوافذهم كما لا يجوز لهم السير في الطرقات أيام الأعياد المسيحية، وقد حرصت الكنيسة أجيالا متوالية على إنكار أن السيد المسيح كان يهودياً، ولو انه ولد بين اليهود، ولهذا قالت بأصله الإلهي، وتؤكد أنه ابن الله.

ومن هذا الشعور العام باحتقار اليهود وبتأثيمه ظل اليهود عرضة للتقتيل والحرق والتشريد واستمر هذا الحال بين مد وجزر. وظل اليهود يمثلون في ذاكرة المسيحيين الطرف الخبيث الذي يسعى أبد الدهر لتحطيم المسيحية.

---

(١) ينظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، عزت دروزه، (د.ط) بيروت: المكتبة العصرية ١٩٦٨م. (٣٨١).

إذ طردت بريطانيا اليهود ومنعتهم من الدخول إلى أراضيها مدة ثلاثة قرون. وطرد القديس لويس التاسع عشر اليهود من فرنسا وأمر بإحراق تلمودهم. كما حرمت كل من اسبانيا والبرتغال دخول اليهود للبلاد. وقال بنيامين فرانكلين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية: (في أي أرض يحل اليهود يصبح المستوى الخلقي والمعنوي منحطاً، والمعاملات التجارية تجري بصورة غير شريفة. وإذا لم يجر طرد اليهود من الولايات المتحدة الأمريكية بموجب نصوص الدستور فانهم سيفدون على بلادنا خلال مائة عام بأعداد كبيرة تؤدي إلى أن يحكموا البلاد، ويغيروا شكل حكومتنا، وهي ما بذلنا نحن الأمريكيين في سبيلها دماءنا وأرواحنا وممتلكاتنا وحريتنا الشخصية. وإذا لم يطرد اليهود من بلادنا خلال مائتي عام، فان أبناءنا سوف يعملون في الحقول لإطعام اليهود، بينما يقيم اليهود في قصورهم يفركون أيديهم فرحاً وسروراً)[١]. ولقد صدق وهو كذوب، فإن ما توقعه وصرح به أصبح حقيقة واقعة، فإن اليهود اليوم في أمريكا هم السادة وأصحاب المصانع ورؤوس الأموال، بل هم من يختار القيادات العليا لأمريكا، وأصبح عدد اليهود في أمريكا أكثر من ستة ملايين.

ومن ثم لم يكتفوا بقتلهم وتعذيبهم وطردهم، ومحاولة تجريدهم من قدراتهم الاقتصادية، وصبغهم بالصبغة المسيحية، بل كانوا ينتزعون أولادهم ويربونهم تربية مسيحية. حتى إذا قامت الثورة الفرنسية، وأعلنت الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في عام ١٧٨٩م، وافقت الجمعية على إعطاء كامل الحقوق المدنية ليهود فرنسا، تحركت هذه الحقوق مع جيوش نابليون إلى يهود هولندة سنة ١٧٩٦م، والى يهود البندقية سنة ١٧٩٧م، والى يهود روما سنة ١٨١٠م، والى يهود فرانكفورت سنة ١٨١١م. وهكذا ضمت حقبة العصور الوسطى بالنسبة لليهود في أوربا، ولكنها ما لبثت أن امتدت إلى أمريكا التي فتحت صدراً واسعاً لاستقبالهم. وما كادت تدفأ الحيات في الحجر الأمريكي حتى جعلت تزحف وتنفث سمومها ما استطاعت، فكانت تنظيمات البغاء، وترويج المخدرات ونشر المطبوعات القذرة من أبرز النشاط اليهودي، ولا يرجع هذا إلى ميل طبيعي في

(١) ينظر: اليهود تاريخاً وعقيدة، د. كامل سعفان، (د.ط) القاهرة: دار الاعتصام (د.ت) (١٦٢– ١٦٣).

اليهود إلى الشر والفساد، بل أن لديهم نظرية تقول: افسدوا الآخرين ليضعفوا في صراعهم معكم، زلزلوا أركان الإسلام والنصرانية لتثبيت أقدام الموسوية[١]. وأرى أن هذه النظرية عُدلت فيما بعد إلى: افسدوا الآخرين ليضعفوا في صراعهم معكم، زلزلوا أركان الإسلام بالنصرانية لتثبيت أقدام الموسوية. فاليهود يخططون والنصارى ينفذون، فقد نجح اليهود في إقناع المسؤولين في الدول النصرانية منذ بداية عصر النهضة الأوربية بأنهم اقرب الناس إليهم، لذلك تم الاتفاق بينهم على ضم التوراة (كتاب اليهود) إلى مجموعة الأناجيل والرسائل النصرانية بوصف ان التوراة هي كتاب العهد القديم، ومجموعة الأناجيل والرسائل البولسية وغيرها من كتب النصارى هي كتاب العهد الجديد وسمي الاثنان معاً (الكتاب المقدس) وبذلك نجح اليهود في جعل النصارى تبعاً لهم يأتمرون بأمرهم في أمور الدين، وعندئذ سهل التسلط عليهم في أمور الدنيا، ولاسيما في الاتجاهات السياسية، وهو ما يمكن ملاحظته في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية حاليا. وأضف الى ذلك ان العداء الذي أضمرته اليهودية للمسيحية ظل مستحكماً في نفوس اليهود منذ عشرين قرناً إلى يومنا هذا، وذلك بفعل الحقد اليهودي المبنى على التعاليم التلمودية التي حقرت المسيح والمسيحية وشنت عليهم حرب شعواء، واستخدمت فيها شتى الوسائل الدنيئة المخربة. ومن اشد تلك الوسائل خطورة، تلك التي سعت إلى تخريب المسيحية من داخلها، وبذرت فيها بذور ضعفها وانحلالها، بعد أن عجزت عن القضاء عليها في الحرب السافرة[٢].

ونحن نقول لهؤلاء النصارى الذين يزعمون أنهم يؤمنون بالمسيح عليه السلام حتى غلو في تقديسه إذ رفعوه من مرتبة الرسالة والنبوة الى مقام الإلوهية والربوبية. كيف يذكره اليهود خفية فيما بينهم؟ وكيف صوروه للناشئة من أبناء اليهود في أجيالهم المتعاقبة في تلمودهم المقدس؟ أنه ساحر ومشعوذ وهو نجار أبن نجار وكذلك يدعونه أبن الحطاب، وهو الرجل الذي شُنق ومات

(١) المصدر نفسه: (٥٩- ٦٧).

(٢) ينظر: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام . عبد الله التل. ط/ ١٢، المكتب الإسلامي، بيروت (د.ت) (٥٢).

كبهيمة ودفن في كومة قذرة حيث تطرح الكلاب والحمير وذلك عقابا له على جرائمه وعقوقه[١]. هذه الأوصاف التي يصف اليهود بها عيسى عليه السلام . وحاشاه . فهل انتبه النصارى إلى ذلك؟ ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد بل استطاع اليهود أن يحصلوا على وثيقة من بابا الفاتيكان في روما تبرى ساحتهم من قتل المسيح وجاء فيها: (ولئن كان ذوو السلطان والأتباع من اليهود عملوا على قتل المسيح إلا أن ما اقترف إبان الآلام والصلب لا يمكن أنْ ننسبه في غير تمييز إلى جميع اليهود الذين عاشوا آنذاك ولا إلى اليهود المعاصرين لنا...)[٢]. ولا ندري ما هي حالة القوم، وما هي عقيدتهم بعد أن استصدر اليهود هذه الوثيقة؟ وهل أتهم الفاتيكان بالعمالة لليهود؟ وهل التآخي معهم من الممكن أنْ يأتي على حساب العقيدة في أساسها؟ ومن قتل المسيح إذن في اعتقاد بابا الفاتيكان؟ يبدو أن كل شيء ممكن من اجل ان يتفق اليهود مع النصارى لمواجهة الإسلام معا. عموما نحن نؤمن أن المسيح عليه السلام لم يقتل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[٣]. وأن الله تعالى ألقى شبهه على يهوذا الخائن فقتله اليهود ظانين أنهم قتلوا المسيح عليه السلام وهو الآن في السماء ينتظر الإذن بالنزول إلى الأرض[٤].

لقد استثمر اليهود هذا الحدث –براءتهم من دم المسيح– الذي أزال عنهم أقبح الصفات وجعلهم من المقبولين، أو ممن يمكن التعامل معهم فعمدوا إلى اسفار النصارى المقدسة (العهد الجديد) وأجروا فيها تحريفات سموها تعديلات ولا فرق بين الاثنين عند القوم كي تتناسب مع الوضع الجديد المنبثق عن هذا المجمع (المجمع الفاتيكاني الثاني)، ففي عام ١٩٧٠م صدرت الطبعة المحرفة لأسفار العهد الجديد في دار النشر اليهودية بالقدس تحت اسم "النسخة اليهودية والمعتمدة" (Authorized version Judaean).

---

(١) ينظر: الميزان في مقارنة الأديان، محمد رفعت طهطاوي، ط/٢ دمشق: دار القلم ٢٠٠٢م. (٦٥– ٦٨)، اليهود تاريخاً وعقيدة (٢٠٣).

(٢) مصادر النصرانية (٢/ ٨٨٣).

(٣) النساء/ ٥٨.

(٤) ينظر: دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد ، يعيد عبد العظيم، (د.ط) الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٥م. (٥٣– ٥٤)

وبلـغ عدد هذه التحريفات نحو ست وثلاثين وستمائة. وأما خطـة عملهم فـي أجراء هذه التعديلات –على زعمهم– فهي على النحو الآتي:–[١]

١–محـو كلمـة "اليهود" من أسفار العهد الجديد ثم استبدلوها بكلمات أخرى تعين علـى تهوين المسؤولية والتي كانت علقت بجنس اليهود، ومن هذه الكلمات البديلة (مواطنو ولاية اليهودية، العامة، والوثنيون)[٢].

٢–محـو كل مـا يتعلـق بـاليهود بوصـفهم شـعباً أو جماعـة دينيـة تـرتبط بالنـاموس والمجمـع، وقـد استبدل لفظ الناموس بلفظ الكتاب المقدس، واستبدلوا المجمع بالمحكمة والفريسيين بالمنعزلين، واللاويين بالمساعدين[٣].

٣–التخلص نهائياً من كلمة الصلب ومشتقاتها بتغييرها الى ألفاظ أخرى قد تكون قريبة منها في المعنى[٤].

٤–تجنب كلمة القتل ومشتقاتها، واستبدالها بألفاظ اقل منها حدة وعنفاً فكلمة يقتل تُحول إلى: يُدين، أو يأخذ، أو يضايق، أو يقاوم.

٥–محو الفقرات التي تلقي مسؤولية إراقة دم المسيح على اليهود وأولادهم من بعدهم، ثم استبدالها بأخرى تحمل المصلوب نفسه مسؤولية دمه المراق[٥].

٦–تحريف ما جاء في هذه الأسفار من خطابات تلاميذ المسيح عليه السلام لليهود والتي أدانوهم فيها لمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام وذلك بتحويل ما ورد في هذه الفقرات من صيغ ضمير المخاطب الحاضر إلى صيغ ضمير الغائب، كاستبدال ضمير "أنتم" مثلاً بضمير "هم" فتضيع المسؤولية في تحديد هوية مَنْ "هم".

---

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، احمد عبد الوهاب، ط/١– القاهرة ١٩٧٢م (٢٢– ٢٤).
(٢) ينظر: متي [٢/ ١– ٢].
(٣) ينظر: مقدمة الكتاب المقدس (٥).
(٤) مرقس [١٥/ ١٣]، متي [٢٧/ ٢٣]، يوحنا [١٩/ ١٤– ١٦].
(٥) متي [٢٧/ ٢٣– ٢٥].

٧-تحميل الرومان مسؤولية حادث الصلب، وخاصة الحاكم الروماني بيلاطس الذي قدم أمامه المصلوب للإدانة(١).

والمتمعن في أحوال اليهود ودسائسهم عبر التاريخ يرى أن إصدار مثل هذه الطبعة لأسفار النصارى المقدسة لم يكن أول محاولة للقضاء على النصرانية، ولن يكون آخرها، فقد ورد في التقرير السنوي للجمعية الأمريكية اليهودية عام ١٩٥٢م (ان الانتصارات التي حققناها في السنوات الماضية من سنة ١٩٥٠م أزالت كل إشارة معادية في الكتب الدينية المسيحية وكتب التدريس، لاسيما فيما يتعلق منها بقضية الصلب. فبفضل جهودنا أصبحت ٥٨% من الكتب البروتستانتية خالية اليوم من العبارات العدائية المحقرة لليهود. وقد توصلنا إلى نتائج مماثلة في الكنائس الكاثوليكية، إلا أن ذلك كان على نطاق أضيق)(٢).

وإذا ما رجعنا إلى وثيقة التبرئة نجد أن للسياسة الدولية دوراً بارزاً في هذه الوثيقة، إذ أن العملية تعني إيجاد اتحاد -ولو صورياً- بين الملتين اليهودية والنصرانية في مواجهة عدوهما المشترك -الإسلام- الذي لا يرضى الله بغيره ديناً، مع أن الله تعالى ذكر لنا قصة الخلاف بين اليهود والنصارى، وأن الملتين لا تدين احدهما للأخرى بشيء إذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (٣).

فقد بين القران تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم، وأن كلاً يتلو في كتابه تصديق من كفر به، أي: يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة، فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى(٤).

---

(١) متي [٢٧/ ١٥- ٢٤]، مرقس [١٥/ ٦- ١٤]، لوقا [٢٣/ ١٣- ٢٢].

(٢) مصادر النصرانية (٢/ ٩٥٩- ٩٦٠).

(٣) البقرة/ ١١٣.

(٤) ينظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير، د.ط، القاهرة: دار الحديث ٢٠٠٣م. (١/ ١٩٥).

ومما يثير الدهشة والعجب أن الخصوم القدامى اصطفوا ذات يوم بينهم واجتمعت صفوفهم على أمل أن يجهزوا على الإسلام، لا بل أعطت الوثيقة لليهود الوصف اللائق بهم والذي يتفاخرون به إذ ورد في هذه الوثيقة (إن تجذر إسرائيل في أرض شهدت عدة شعوب اندثرت دون أن تترك أثرا هو حقيقة تاريخية وعلامة يجب تفسيرها انها من إرادة الله، لذا لا بد من ترك المفهوم التقليدي للشعب المعاقب كما في نظر النصرانية، لأنه يبقى الشعب المختار)[١]. وربما يزول العجب إذا ما عرفنا أن ملة الكفر واحدة، وان الله قد وصف لنا هؤلاء القوم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾[٢].

فالكل متفقون على الكفر ومجمعون على ضرر المسلمين[٣]. ومما لا شك فيه أن الدولة النصرانية الأوربية هي التي صنعت دولة إسرائيل جسماً غريباً في الوطن العربي والتراب الإسلامي، فقد تلاقت أهداف الدول الصليبية الحاقدة مع الصهيونية اليهودية الحاسدة في الكيد للإسلام، وخططوا للقضاء على قوة الكيان الإسلامي، وإنشاء الدولة اليهودية على ارض فلسطين[٤].

لقد نجح اليهود في إقناع النصارى بمودتهم، وهو بعيد عن الصحة، إذ أن اليهود لا يحبون غير أنفسهم لان غيرهم خُلق لخدمتهم –في نظرهم– مع أنهم لا يذكرون في تاريخهم غيرهم إلا بصفة آثمة، لا بل أن اليهود نزعوا من كتبهم تاريخ عيسى عليه السلام، فالذي يقرا كتب اليهود لا يجد لعيسى ذكراً وهذا الذي حدا بعض الغربيين إلى وصف عيسى بكونه شخصية خرافية فرضية ليست حقيقة واقعة، وإذا تكلم اليهود عن عيسى وقتله، فليس لأنه مثبت في توراتهم المأثورة عن آبائهم

---

(١) الميزان في مقارنة الأديان (٢٧٦).
(٢) المائدة/ ٥١.
(٣) ينظر: روح البيان في تفسير القران، (د.ط) بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م. (٢/ ٤٠٨).
(٤) ينظر: الميزان في مقارنة الأديان (٦٥).

ومشايخهم، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون عن المسيح فيروون عنهم أحيانا، وإلا فكتبهم خالية من ذلك. وهنا يرد سؤال لماذا أهمل اليهود شان عيسى عليه السلام ولم يذكروه في كتبهم؟ والجواب كما يقول الدكتور أحمد الشلبي: (أن عيسى عندهم إن صح وجوده- رجل عادي كفر بدعوتهم فقتلوه، وهم لا يجمعون في كتبهم أخبار كل فرد من الدولة، فهذا رجل انشق فعاقبوه بالقتل، ولا يستحق بعد ذلك أي ذكر)[١]. نعم لقد نجح اليهود في استخدام النصارى كخطوط دفاع عن الصهيونية التي أصبحت تسيطر على كثير من مرافق الحياة في العالم، ولقد صرح رئيس جمعية صهيونية في احد مؤتمراتهم بما يلي: (علينا ان ننشر روح الثورة بين العمال وهم الذين سندفع بهم إلى خطوط دفاع العدو، موقنين بان لا نهاية لرغباتهم، ونحن بأمس الحاجة إلى تذمرهم، لأنه السبيل إلى تخريب المدنية المسيحية، والوصول سريعاً إلى نشر الفوضى فيها، ولسوف يحين الوقت الذي يطلب فيه المسيحيون أنفسهم إلى اليهود أن يتسلموا السلطة) وفي ذلك يعلن أحد أساتذة (جامعة بل): (إن الصهيونية قد بطشت بالفكر الحر، حتى أصبح المثقفون وذوو الرأي من الغرب عاجزين عن المجاهرة بما يرون، إذا كان فيه ما يعارض الصهيونية، أو ما يقضبها، خشية فقد الرزق، أو فقد الحياة). فإذا كان هذا حال العلاقة بين النصارى واليهود! فكيف تكون بينهم مودة وموالاة إلا إذا كان الهدف واحد وهو الخوف من ان تدب الحياة في جسم الأمة العربية والأمة الإسلامية، فتعود إلى سالف مجدها وقوتها فتنشر الخير والمحبة والسلام، وتسحب البساط من تحت أقدام أدعياء المدنية الحديثة والصهيونية الحاقدة[٢]. وبهذا يكون اليهود قد بذروا في المسيحية عوامل ضعفها وخرابها، إذ علموا المسيحيون القسوة والوحشية وحب المادة والحقد والانتقام ناسفين بذلك أسس المسيحية التي قامت على التسامح والعفو والمحبة وذلك بالتظاهر باعتناق المسيحية من اجل محاربة المسيحية والمسيحيين، مع ان اليهودي لا يغير دينه أبداً مهما تظاهر بعكس ذلك، واليهودي الذي ينبث في الأوساط غير اليهودية يتظاهر دائماً بالإلحاد ليشجع

(١) المسيحية، د. احمد الشلبي، ط/٨ مصر: مكتبة النهضة ١٩٩٩م. (٧٧).
(٢) ينظر: اليهود تاريخاً وعقيدة (١٦٤).

غيره على الإلحاد والتنكر للأديان، بينما يضل في قرارة نفسه متديناً متعصباً لدينه. ولم يقتصر نشاط اليهود في حربهم للمسيحية على تغلغلهم السري واعتناق المسيحية كذباً ورياءً، بل رافق ذلك عداء سافر وقح نظمته الماسونية طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ولم تتوقف سياسية العداء اليهودي للمسيحية وللناس كافة رغم كل الذي عملته الشعوب المسيحية من اجل اليهود. والحق ان فضلاء النصارى تنبهوا إلى خطر اليهودية العالمية وإدارتها السرية الماسونية وشنوا ضدها حروباً رغم أنها مخففة إلا إنها دلت على وعي من جانبهم وإخلاص لدينهم وأوطانهم، فقاموا بواجب التنبيه والتحذير ضد الأخطار المهلكة[١]. ولكن للأسف الشديد لم يجد الأخيار عوناً لهم من أبناء ملتهم فمن يدير شؤون الكنسية لا بد أن يكون مرتبطاً باليهود ولو بالخفية والتستر، وما علم هؤلاء أن اليهود لهم هدف نهائي يجتمعون عليه وهو ما صرح به أحد حاخامات اليهود بقوله: [لن يبقى دين فوق الأرض غير ديننا، اذ أن بقاء الأديان سيكون خطراً دائماً لكيان حكمنا نحن الروحانيين. سنفني كل الأديان ونظل محتفظين بديننا متمسكين بشعار قومنا الخالد وهو الشريعة العبرانية الموروثة ومعتقداتها التي لا تتبدل ولا تمسس.... ولا بد أن نقوم بإعدام عدد من كبار الرجال الذين خدمونا في روسيا وأمريكا على السواء بموجب وثائق تدينهم... وقد نضطر لتضحية عدد من إخواننا اليهود كما فعلنا مع هتلر، ولا باس من تضحية الجزء لينتصر الكل ونسود العالم بثمن زهيد جداً. وأصرح لكم اننا قد نستعمل مخترعات الرجل الأبيض سلاحاً ضد انفسهم ونستخدم أجهزة الدعاية لتعكس رغبتنا، ومصانعهم لتهيئ الآلات التدميرية التي يهلكون بها أنفسهم... ارجعوا إلى بلادكم بنشوة تصوركم يوم النصر الختامي، وعاضدوا أثركم الطيب إسرائيل انتظاراً لليوم الذي تظهر فيه عظمتها وتسطع نوراً يضيء للعالم...][٢] فهل انتبه النصارى لمثل هذا، واذا انتبهوا ماذا فعلوا؟

---

(١) ينظر: الافعى اليهودية في معاقل الإسلام (٥٥- ٦٨).

(٢) الخطر المحيط بالإسلام، الجنرال جواد رفعت، بغداد ١٩٦٥م (٢٧٣).

لا بد من القول ان هذه العلاقة وقتية تزول بزوال المصلحة فمتى انتهت المنفعة ساءت العلاقة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[١].

مما تقدم يتضح لنا ان العلاقة بين النصرانية واليهودية لم تكن ودية الا نادرا، فالكنيسة في اولها تخلت عن النصر اليهودي، وفي القرون التالية عندما اصبح للكنيسة القوة والقدرة على الاضطهاد ولم تعتبر اليهود كانساب واقرباء لعيسى ولكن اعتبروا بانهم رفضوا عيسى وقتلوه، ومن النادر ان تجد من يمتدح اليهود الا من غير المسيحيين واليهود من جانبهم ايضا لا يوجد لديهم أي محبة للمسيحيين او أي قول حسن عنهم، ويعتبرون قدوم عيسى الى العالم ربما كان قدوم بركة للاميين، ولكنه بالنسبة لاسرائيل كان نذير المعاناة القاسية والطويلة والتي لم يشهدها تاريخهم الماضي[٢].

(١) الحشر/ ١٤.

(٢) ينظر: موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وابطال شبهاتهم حوله، د. سارة بنت حامد بن محمد، ط/١، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٥ (٦٣).

المبحث الثاني

علاقة النصارى بالمسلمين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾[1].

إن الدين الإسلامي الذي ختم به الله سبحانه وتعالى جميع الأديان موجه إلى الناس كافة، وليس لقبيلة أو قوم أو حتى للعرب فقط، فالقران الكريم يخاطب البشر كلهم من دون استثناء، إذ أن كثير من الآيات الكريمات تبدأ بنداء إلى الناس كافة ((يا أيها الناس)) ولقد ورد هذا القول في أكثر من (٢٠٠) مرة في كتاب الله، وهو ما يميز الإسلام على مدى تاريخه الطويل بأنه لم يعرف الأحقاد الطائفية، كما وأن الحروب الدينية غريبة على أرضه، ولا يقر الإسلام العنصرية أو التمييز لجنس على آخر، أو تفضيل لون على آخر، بل اقر المساواة بين البشر والعدالة وجعلها ميزان للعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمعات، فقد ألف هذا الدين منذ بدأ يعاشر غيره على السماحة والمياسرة واللطف، وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من قوانين ويضع من تقاليد، وهو في ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالف له ومن ثم لم يفرض عليه حكمة في مسائل الحلال والحرام. والحق أن تاريخ الإسلام انصع تاريخ على وجه الأرض في هذا الخصوص، وليت التواريخ الأخرى تقترب من ليونة الإسلام ومودته وسماحته[2]. ومع ما تميز به الإسلام من التسامح والتعايش السلمي بين الأديان المختلفة لم نجد على مر التاريخ منذ بعثة نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ ولو لمرة واحدة ان هذا التسامح استلزم أخفاء الحق أو الحقيقة، إذ كان السلام فرقاناً بين الحق والباطل، وبيان الحق مهما كان مراً وثقيلاً، وان تسامحه مع أهل الكتاب وغيرهم لم يحمله على الاعتراف بأديانهم ولم يمنعه في الإعلان عن

(١) المائدة/ ٥١.

(٢) ينظر: الميزان في مقارنة الأديان (٨٦).

بطلانها إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2].

ومع ذلك فأن الإسلام حرصاً منه على وحدة الأمة وتماسكها لا يكفل لغير المسلمين في بلاد الإسلام حرية عقائدهم وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم فحسب، بل يمنحهم من الحرية والحماية ومن العدل والرحمة قدر ما يمنحه للمسلمين من حقوق عامة تطبيقاً للقاعدة الإسلامية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وهذا من عدل الإسلام ورحمته، وهو مخالف لما عليه أهل الكتاب فهم يسعون لإطفاء نور الله الذي جاء به النبي محمد ﷺ فهم يرفضون الحق بل أنهم يسعون في إطفائه أو ستره وإبعاده عن الحياة الواقعية، فهم لا يرضون من المسلم إلا إتباع ملتهم، ويوالي بعضهم بعضاً، ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولاشك أن هذه الانحرافات هي أدعى للتفرقة واشد إيلاما للنفس، لذلك أمرنا الباري ﷻ بعدم موالاتهم، وعدم اتخاذ البطانة منهم، وعدم محبتهم، ولكن هذا لا يمنعنا من أن تكون لنا معهم علاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية وسنبين ذلك من خلال البحث في الجوانب الآتية.

أولاً: الجانب الديني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

---

(١) المائدة/ ٧٣.

(٢) التوبة/ ٣١.

(٣) آل عمران/ ٢٨.

هذا عموم في أن المؤمن لا يتخذ الكافر ولياً في نصرة على عدوه ولا في أمانة ولا بطانة من دون المؤمنين، وعدم ملاطفة الكافرين في السلام، والتعظيم، والتوقير في المجالس، وحمل المولاة على ما يعم الاستعانة بهم في الغزو، ويجوز البعض الاستعانة بهم بشرط الحاجة والوثوق[١]. (فان كانت الموالاة والمحالفة لمصلحة المسلمين فلا مانع منها، فقد خالف النبي خزاعة وهم على شركهم، كما لا مانع من ثقة المسلم بغيره وحسن معاملته في أمور الدنيا)[٢].

وظاهر الآية يقتضي النهي عن موالاتهم إلا ما سمح لنا فيه من اتخذاهم عبيداً، والاستعانة بهم استعانة العزيز بالذليل، والأرفع بالاوضع، والنكاح فيهم، فهذا كله ضرب من الموالاة إذن لنا فيه، ولسنا ممنوعين منه[٣].

وقال القرطبي: (قطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار بعضهم أولياء بعض، يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم)[٤].

ولقد توعد الباري جل وعلا من يتعاطى موالاتهم ووصفه بالظلم، وان الله لا يحبه، وأي عقوبة افضع من ان يبغض الله انساناً؟ ثم أخبر تعالى عن الذين في قلوبهم مرض، وشك ونفاق كيف أنهم يبادرون إلى مودتهم في الباطن والظاهر متأولين في مودتهم وموالاتهم، أنهم يخشون ان يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند هؤلاء القوم (اليهود والنصارى) فينفعهم ذلك، ناسين ان النصر بيد الله وان الأمر كله لله، وقد ذكر الله هؤلاء وغيرهم ان هؤلاء سيندمون على ما أسروه في أنفسهم من موالاة الكافرين يوم ينصر الله جنده، ويعلي كلمته، وعندئذ سيجدون

---

(١) ينظر: أحكام القران، ابي بكر احمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، (٢/ ١١)، احكام القران، ابي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، دار الفكر، ١٩٧٢م، (١/ ٢٦٧)، الوسيط في تفسير القران المجيد، الواحدي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م (١/ ٤٧٢)، بحر العلوم: ابي ليث نصر بن محمد السمرقندي ط/١، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣م، (٤٤٢/١)، المقتطف في عيون التفسير، مصطفى الحصن المنصوري، دار السلام، القاهرة، ط/١، ١٩٩٦م (٣١٤/١).

(٢) تفسير المراغي، مصطفى احمد المراغي، ط/٣ (د.م) ١٩٧٤م (٢/ ٣٦٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ابو حيان الأندلسي (٣/ ٣٧٩).

(٤) الجامع لأحكام القران، (١٣٨/٨).

ما كان منهم لم يغن عنهم شيئاً، ولا دفع عنهم محذوراً، بل العكس كان عين المفسدة لهم، فأنهم فضحوا واظهر الله أمرهم لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يُدرى كيف حالهم، إذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]. فالذين سارعوا في موالاتهم والتودد اليهم خوفاً من ان تدور عليهم دائرة من دوائر الدهر، أصبحوا نادمين وحبطت أعمالهم، وهذا حال الكثير من أبناء الأمة الذين يوالون اليهود والنصارى اليوم بزعمهم انهم أصحاب الشوكة، وان الغلبة لهم، وهؤلاء هم اهل الدنيا الفانية التي فضلوها على الآخرة الباقية[2]. مع ان من أصول العقيدة الإسلامية، انه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة ان يوالى أهلها، ويعادي أعدائها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، وذلك من ملة ابراهيم عليه السلام اذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

بل وصل الأمر إلى تحريم موالاة الكافرين ولو كانوا من اقرب الناس الينا نسباً اذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ

---

(١) المائدة/ ٥٢.
(٢) ينظر: تفسير القران العظيم (٢/ ٨٨)، الأساس في التفسير (٣/ ١٤٢٢).
(٣) الممتحنة/ ٤.
(٤) التوبة/ ٢٣.

فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١] ، كما نهينا عن الاستغفار لهم والترحم عليهم اذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾[٢]. ويتبن لنا من خلال نصوص القران ان لم نجانب الكفار والمشركين ونوالي المؤمنين والا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل[٣]. (وعندما نهى الله عن موالاة الكفرة ذكر بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٤]. ومن هو حقيق بها إنما قال وليكم الله ولم يقل أوليائكم للتنبيه على ان الولاية لله سبحانه وتعالى على الأصالة ولرسوله ﷺ والمؤمنين على التبع)[٥]. ويحسن هنا ان نبين الولاية المنهي عنها، والتي تعني التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق بمعنى إتباعهم في دينهم. فبعيد جدا ان يكون بين المسلمين من يميل الى إتباع الكافرين في الدين، انما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين امره، فيحسبون انه جائز لهم بحكم ما كان واقعا من تشابك المصالح والأواصر. ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من أهل الكتاب قبل الإسلام، حتى نهاهم الله عنه وأمرهم بإبطاله. لانه ممتنع في نفسه لان بعضهم يوالي بعض، والكل متفقون على الكفر، مجموعون على ايقاع الضرر بالمسلمين، وان كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين. فكيف يكون بينهم وبين المسلمين مولاة، ومن يتخذهم أولياء فانه منهم وهو معهم، وقد حذر البار ي تعالى من فعل هذه الموالاة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ

---

(١) المجادلة/ ٢٢.

(٢) التوبة/ ١١٣.

(٣) ينظر: تفسير القران العظيم (٢/ ٤١٠)،. دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد (٣٢٧).

(٤) المائدة/ ٥٥.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م (١/ ٢٧٢).

وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءُۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]. أي من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد[2].

فبعضهم أولياء بعض تلك الحقيقة التي لا علاقة لها بالزمن، لأنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء انهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في اي ارض ولا في اي تاريخ، وقد مضت قرون تلو قرون ترسم مصداق هذه المقولة الصادقة. لقد ولي بعضهم بعضاً في حرب محمد عليه الصلاة والسلام في المدينة، وولي بعضهم بعضاً في كل فجاج الأرض على مدار التاريخ. ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة، ولم يقع في هذه الأرض إلا ما أقره القرآن الكريم في صيغة الوصف الدائم، لا الحادث المفرد، ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها، فإذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض فانه لا يتولاهم إلا من هو منهم، فالذي يتولاهم كان ظالماً لنفسه ودينه ولأهل ملته، وبسبب هذا الظلم لا يهديه الله إلى الحق ولا يرده إلى الصف المسلم اذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[3]. فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على سواء الا في العقيدة، ومن ثم لا يمكن ان يقوم الولاء بين المسلم وغير المسلم، إذ أنهما لا يمكن ان يتناصروا في مجال العقيدة[4]. والمتمعن في الآيات أعلاه يرى أنّها كأنّما تتحدَّث عن أوضاع اليوم حيث يتآمر اليهود والأمريكان على المسلمين في فلسطين والعراق وفي كل مكان من ارض الإسلام، وحيث يرتعب المنافقون قائلين ((نخشى ان تصيبنا دائرة)) فيمالئون

---

(١) المائدة/ ٥١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القران (٨/ ٦٠)،تفسير القران العظيم (١/ ٤٤٢، ٢/ ٨٧)، روح البيان (٢/ ٤٠٨)، فتح القدير الشوكاني ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٤م (٢/ ٦٢)، في ظلال القران (٢/ ٩٠٩).

(٣) المائدة/ ٥١- ٥٢.

(٤) ينظر: في ظلال القران (٢/ ٩١٠- ٩١٥).

يهود وبوش طغمته من المسيحيين المتصهينين المغالين في تعصبهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين حتى أعلنوها صراحة حرب صليبية، وان صراع الحضارات بين الغرب المسيحي والإسلام الإرهابي البربري قد قامت ملاحمه، ولا بد لهم من محاولة استئصال الإسلام، وكتاب الإسلام، وردّ المسلمين بعد إيمانهم كفاراً وحسداً من عند أنفسهم من بعد ان تبين لهم الحق[١]. ومع ذلك يدعو بعض القائمين على الدعوة الى التقريب بين الأديان إلى المحبة والموالاة والإخوة بين الفريقين، اذ يقول احدهم: (ليتحابب أهل الأديان السماوية، ويناصر بعضهم بعضاً)، ويقول مخاطباً جمعاً من النصارى (لقد عرفناكم من خلال قرآننا، وأوامر نبينا، فاعرفونا...وصافحناكم بأمر من نبينا وقرآننا فصافحونا، وعانقناكم فعانقونا...ودرسناكم دراسة أخوة وحب من خلال ديننا وفقهنا فادرسونا... ولا ينقصنا إلا أن نقترب ونقترب، وعندها لابد أن نرى أنفسنا إخوة متفاهمين. هذا اللقاء والتعاون سيكون قريباً بإذن الله وبجهد المؤمنين والمخلصين من أبناء كل دين سماوي)[٢]. وهذا غيض من فيض من مولاة أعداء الدين وهو بمثابة الصد عن سبيل الله. وما علم هؤلاء الدعاة ان الله ﷻ لما نهى المؤمنين من ان يدخلوا في ولاية الكافرين وتحت سلطانهم وفي ظلهم دون ظلال المؤمنين وسلطانهم، فان على المؤمنين أن يكونوا لأنفسهم دولة وولاية تظلهم، ولا يكون احد منهم في ولاية غيرهم. فالمعنى إذن لا يجوز لطائفة من المؤمنين ان يكونوا في ولاية غير المؤمنين، ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد بريء من الله حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ وهذا تحذير من نقمته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه فإليه المرجع والمنقلب فيجازي كل عامل بعمله[٣]. ثم رخص بالتقية لمن خاف في بعض البلدان والأوقات، ولكنها تقية اللسان لا ولاء القلب، ولا ولاء العمل، فليس من التقية المرخص فيها ان تقوم المودة بين المؤمن والكافر. لان غير المؤمنين لا يمكن ان يراعوا حقوق المؤمنين حق الرعاية، بل لا

(١) ينظر: معاملة غير المسلمين، محمد علي البار (١٦- ١٧).
(٢) من أقوال الشيخ احمد كفتارو. نقلاً من دعوة التقريب بين الأديان (٤/ ١٤٤٠).
(٣) ينظر: تفسير القران العظيم (١/ ٤٤١)، زهرة التفاسير (٣/ ١٧٥).

يألونهم خبالاً، وقد حققت الأيام ذلك فان المؤمنين الذين يخضعون للأمم الأوربية كمسلمي يوغسلافيا مع قيامهم بحق إقليمهم وفي نصرته لا يكادون يتمتعون بأي حق سياسي، ولا يتولون أعمالاً إدارية إلا في صغير الأمور لهذا اوجب الله على المؤمنين ان يقدموا كامل الموالاة للمؤمنين، وكامل المعاداة للكافرين[١]. ولما قطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين منعهم من ارث بعضهم البعض فقد ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ: (لا يرث لمسلم الكافر ولا الكافر المسلم)[٢]، ولا يمكن ان يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه الذين يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون... والعجب كل العجب لمن يتخذ له بطانة من دون المؤمنين وهو يسمع قول الباري عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[٣]. زجراً عن الركون الى الكفار واتخاذ بطانة منهم يسندون إليهم أمورهم ويفاوضونهم في الآراء. فلا يجوز استكتاب أهل الذمة ولا غير ذلك من تصرفاتهم في البيع والشراء والاستنابة اليهم[٤]. بل يجب ان تكون بطانة المؤمن من خاصته وأهل ملته لاتهم يطلعون على خفايا الأمور لذلك ورد في الحديث الصحيح قوله: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله)[٥]. وقد ذكر الباري سبحانه وتعالى الأوصاف والأحوال التي توجب الامتناع عن اتخاذ بطانة منهم، فذكر لهم أحوال ثلاثة:-

---

(١) ينظر: في ظلال القران (١/ ٣٨٦)، زهرة التفاسير (٣/ ١٧٧- ١٨٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، ح (١٦١٤).

(٣) آل عمران/ ١١٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القران (٤/ ١١٥).

(٥) البخاري. كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، ح(٦٧٧٣).

الحال الأولى: وهي كافية في إبعادهم عن أسرار الدولة ((لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا)) والخبال: الخبل وهو الفساد والاضطراب وهما متلازمان، فلا اضطراب الا ومعه فساد، ولا فساد الا يترتب عليه اضطراب فهما معنيان متقاربان ومتلازمان. والمعنى لا يمنعكم خبالا واضطراباً في الأمور، ولا يمنعكم باذلين الجهد في تحقيق مقصدهم ومرادهم فساداً واضطراباً في الأمور ليفسدوا عليكم دينكم، ويكون أمركم بواراً بالفتن التي يبثونها والريب التي يثيرونها.

وصدق الحق جل وعلا وتعالت كلماته، فمنذ ان صارت بطانة الملوك والأمراء والرؤساء من أهل الكتاب وأمور المسلمين فوضى، وأسرارهم مكشوفة وتحركاتهم مرصودة لذلك انحلت القوة الإسلامية وتناثرت دولة الإسلام إلى بلدان ودويلات وضاعت هيبة الإسلام بهذه التفرقة والله المستعان.

الحال الثانية: فهو متمثل بقوله تعالى ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ وهي سبب لإرادتهم البوار والفساد للمسلمين، فالحالة الأولى مظهر ونتيجة، والحالة الثانية باعث ودافع، فهم لا يودون للمسلمين السعادة والرفاهية والخير والقوة بل يودون لهم الشقاء والتعس والأذى، وليس لعاقل ان يطلع خفايا أموره ويستنصح من لا يود له إلا الشر والأذى. فهم يودون العنت والهلاك للمسلمين وإنزال المشقة بهم حتى يتفرق الجمع، وتذهب القوة.

الحال الثالثة: فهو متمثل بقوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أي ان ما يكون في صدورهم وتنطوي عليه نفوسهم أكثر مما يظهر، اذ ان ما يظهر هو الجزء الذي انبثق من الوكاء او هو في الحقيقة الرشح الذي ظهر من المسام التي تخفي ما ورائها، وهذا الوصف هو في الحقيقة توبيخ لأولئك الذين يأتمنونهم، وحالهم في البغضاء ظاهرة مكشوفة. غير مخفية ولا مستورة. لا بل لاح على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل[1].

---

(١) ينظر: تفسير القران العظيم (١/ ٤٩٠).

وقد خص الأفواه بالذكر دون الألسنة إشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه، فهم فوق المستتر الذي تبدو البغضاء في عينيه[١]. لقد رسم القران الكريم صورة كاملة السمات، ناطقة بدخائل النفوس، وشواهد الملامح، تسجل الملامح الباطنة، والانفعالات الظاهرة لصورة بشرية مكررة في كل زمان ومكان، ونستعرضها اليوم وغداً فيمن حولنا من أعداء، يتظاهرون لنا في ساعة القوة والغلبة بالمودة. فتكذبهم كل خالجة وكل جارحة. وينخدع المسلمون بهم. فيمنحونهم الود والثقة، وهم لا يريدون للمسلمين الا الاضطراب والخبال. وهذه الصورة التي رسمها القران الكريم هذا الرسم العجيب فهي بمثابة صورة قوية للغيظ الكظيم الذي كانوا يضمرونه للإسلام والمسلمين، وللشر المبيت، والنوايا السيئة التي تجيش في صدورهم. والمسلون في غفلة عن امر ربهم: ألا يتخذوا بطانة من دونهم. بطانة من ناس هم دونهم في الحقيقة والمنهج والوسيلة، وألا يجعلونهم موضع الثقة والسر والاستشارة.. والمسلمون في غفلة عن امر ربهم هذا ويتخذون من أمثال هؤلاء مرجعاً في كل أمر، وكل شأن، وكل وضع، وكل نظام، وكل تصور، وكل منهج. علما ان التنوير الذي جاء للرعيل الأول لم يكن مقصورا على فترة تاريخية معينة، فهو حقيقة دائمة، تواجه واقعاً دائماً، وكما هو بين ايدينا من حاضر مكشوف[٢].

إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ أي الآيات التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل احد يجعل بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلى. بمخالطة العدو ان تكون مخالطة في ظاهره ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له واقسم انه من أوليائه[٣] وعلى المؤمن ان يفطن لقوله تعالى في إبليس لعنه الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾[٤].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القران (٤/ ١١٦).
(٢) ينظر: في ظلال القران (١/ ٥٤٢).
(٣) ينظر: تفسير الكريم الرحمن (١٧٤).
(٤) الكهف/ ٥٠.

على طريق الإنكار على فاعل ذلك. وقد بين الله تعالى السبب المقتضي لقبح الموالاة وهو قوله تعالى ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ يعني ان العدو لا يؤمن شره ولا مكره، فالنصارى اعداء فدخل متوليهم تحت هذا الإنكار، لوجود العلة المانعة عن الموالاة فيهم. ثم ان الله تعالى اسماهم "الظالمين" لأنهم وضعوا الأشياء في غير محلها. ولم تغفل السنة المطهرة هذه العبادة بل أرشدت الغافل إلى الحق الذي لابد ان يعرفه المؤمنون عامة، اذ جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (انه لما خرج الى غزوة بدر تبعه رجل من المشركين، فقال: اني أريد ان أتبعك وأصيب معك، فقال (تؤمن بالله ورسوله) قال: لا قال: (فارجع فلن استعين بمشرك على مشرك) ثم لحقه عند الشجرة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت له قوة وجلد، فقال جئتك لا تبعك وأصيب معك، فقال: (تؤمن بالله ورسوله؟)، قال: لا، قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك على مشرك)، ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك، فقال (تؤمن بالله ورسوله) فقال: نعم، وقال رسول الله: فانَطلِق)[١]. وهذا خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويريق دمه فكيف باستعمالهم على رقاب المسلين. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تستضيئوا بنار المشركين)[٢] وقد فسر ذلك بان لا تستشيرونهم في شي من أموركم.

وعلى هذا النهج سار السلف الصالح من هذه الأمة فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله: أن لا تولوا على أعمالنا إلا أهل القران. فكتبوا إليه: انا قد وجدنا فيهم خيانة. فكتب إليهم: ان لم يكن في أهل القران خير، فأجدر ان لا يكون في غيرهم خير. وقال عمر بن عبد العزيز لرجل: انظر لنا كاتباً يكون أبوه عربياً. فقال له: قد كان أبو النبي كافراً. فقال: جعلت هذا مثلاً، وعزله. ففي هذه الحكاية فائدتان:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، ح(٧/ ١٨).
(٢) مسند الإمام احمد (٣/ ٩٩)، السنن الكبرى، البهيقي (١٠/ ٢٧).

الأولى: ان ينتخب الكاتب حتى ينظر في ابائه. **الثانية:** عزل من تعرض بالنبي ﷺ عن العمل لئلا يتعرض شؤمه على من يستخدمه فكيف بمن يسبه ويبغضه[١].

إطفاء نور الدعوة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [٢] و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [٣].

برسوخ الانحراف في طبيعة أهل الكتاب فإنهم يرفضون التعايش مع الحق، بل إنهم يسعون في إطفائه أو ستره أو إبعاده عن الحياة الواقعية، وفي الآية علاه فانه ينسب قولهم إلى أفواههم، وفي هذا دلالة على أن قولهم خال من شيء يثبته. وإنما هو مجرد قول قالوه، وافتراء افتروه ولا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصلوه[٤]. وقال القرطبي: (يريدون أن يطفئوا نور الله) أي دلالته وحجته على توحيده، فجعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان، وقيل المعنى نور الإسلام، أي ان يخمدوا دين الله بتكذيبهم)[٥]. وقال ابن كثير: (يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ((ان يطفئوا نور الله)) أي ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر)[٦]. وقيل أن أهل الكتاب لا يقفون عند هذا الحد من الانحراف عن دين الحق وعبادة أرباب من دون الله.

---

(١) ينظر: منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، أبي الحسن علي بن محمد ابن الدريهم المصري ت ٧٦٢هـ، تحقيق سيد كسروي ط/١ لبنان: دار الكتب العلمية (١٨٨/ ١٨٩).

(٢) التوبة/ ٣٢.

(٣) الصف/ ٨.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان ابي الحسن إبراهيم البقاعي، ط/١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٩٧٤م (٨/ ٤٤٣).

(٥) الجامع لأحكام القران (٨/ ٧٧).

(٦) تفسير القران العظيم (٢/ ٤٣٤).

وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر وفق المفهوم الصحيح للإيمان بالله واليوم الآخر إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين الحق، ويريدون إطفاء نور الله في الأرض المتمثل في هذا الدين، وفي الدعوة التي تنطلق به في الأرض. فهم يحاربون نور الله. سوء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، أو بما يحرضون به أتباعهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله، والوقوف سداً في وجهه وكما هو الحال على مدار التاريخ[١]. وفي هذه المعاملة الشائنة التي يلقاها الإسلام وأهله من قبل أهل الكتاب يهوداً كانوا أم نصارى، مع محاسنة هؤلاء من قبل المسلمين ولكنه لم يطفى نيرانهم أبدا، إذ أن راحتهم الكبرى هي في محو الإسلام، وهدم مساجده، ورد المسلمين قسراً عن عقيدتهم، ومع استبانه هذا القصد السيئ في المسالك المعوجة لهؤلاء القوم فان الإسلام لا يعاملهم بالمثل، ولا يوحي لنبيه وأتباعه أن يقفوا على آثار الديانات السابقة ويمحوها من الوجود، بل يكتفي ان يطلب من نبي الإسلام ومن معه الثبات على الحق وعدم التزحزح عنه مهما لاقوا من الصعاب[٢]. ولولا أن الإسلام حق بذاته، مؤيد بتأييد الله، محفوظ بحفظه، لم تبق منه بقية تصارع قوى الشر في الأرض، التي ما تركت سبيلا من المكر به الا سلكته، ولا سببا لإطفاء نوره إلا أخذت به، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين[٣]. فالصراع بين الإسلام والنصارى متمثل بقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾

ولا يمكن اعتباره مجرد تقابل عقدي او فكري، بل يجب النظر إلى أي حركة نصرانية ضد الإسلام كمحاولة لإطفاء ((نور الله)) بالأفواه. ثم أن النص الكريم حدد الصيغة الواقعية لتحقيق الإرادة الإلهية المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٤] . فكان ما بعث الله به محمداً ﷺ مشتملاً على بيان

(١) ينظر: في ظلال القران (٣/ ١٦٤٣).
(٢) ينظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام (٢٤٠).
(٣) ينظر: اجنحة المكر الثلاثة، مقدمة ط/٧.
(٤) التوبة/ ٣٣.

بيان الحق من الباطل. فالمقصود إجمالا بدين الحق هو الدينونة لله وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع، وهذه هي قاعدة دين الله كله. فايما شخص او قوم لم يدينوا لله وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع مجتمعة، انطبق عليهم أنهم لا يدينون دين الحق، والله سبحانه وتعالى يعلن قضاءه بظهور دين الحق الذي أرسل به رسوله على (الدين) كله بهذا المدلول الشامل العام، وان الدينونة ستكون لله وحده، والظهور سيكون للمنهج الذي تتمثل فيه الدينونة لله وحده. فما أن ظهر الإسلام في الجزيرة، وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق على ما صنعته هي بأيديها وسمته (المسيحية) وهو ركام من الوثنيات القديمة، والأضاليل الكنسية، متلبساً ببقايا من كلمات المسيح عليه السلام وتاريخه. إذ وصل الأمر إلا أن الرومان والفرس نسوا ما بينهم من نزاعات تاريخية قديمة وعداوات وثارات عميقة، ليواجهوا هذا الدين الجديد[١]. ولقد اخذ الروم يتجمعون في الشمال هم وعمالهم من الغساسنة لينقضوا على هذا الدين الا ان رسول الله ﷺ باغتهم بالهجوم قبل ان يهاجموه، ولكنه لم يلق منهم كيداً، وفي السنة الثامنة للهجرة ارتكب زعيم قبيلة من عرب الشمال النصراني المنضوي تحت حكم الرومان جريمة بشعة عندما قام بقتل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصرى فكانت هذه الجريمة السبب المباشر في وقوع معركة مؤتة التي تحالفت فيها القبائل العربية النصرانية مع جيوش قيصر، ثم بعد ذلك غزوة تبوك سنة (٩هـ)، والتي كان سببها عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم، فأراد النبي أن يغزوهم قبل أن يغزوه[٢]. ثم الجيش الذي أعده النبي ﷺ بقيادة أسامة بن زيد، والذي أنفذه الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه إلى أطراف الشام لمواجهة تلك التجمعات الرومانية التي تستهدف القضاء على الإسلام، ثم ازداد الحقد الصليبي منذ موقعة اليرموك الظافرة، التي أعقبها انطلاق الإسلام لتحرير المستعمرات الإمبراطورية الرومانية في الشام ومصر وشمال افريقية وجزر البحر الأبيض، ثم بناء القاعدة الإسلامية الوطنية في الأندلس.

---

(١) ينظر: في ظلال القران (١٦٢٨- ١٦٤٤).

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٩٢)، السيرة النبوية، د. على الصلابي (٢/ ٢٢١، ٥٧٥).

إن الحروب الصليبية المعروفة بهذا الاسم في التاريخ، لم تكن هي وحدها التي شنتها الكنيسة على الإسلام. لقد كانت هذه الحروب مبكرة قبل الموعد بكثير... لقد بدأت في الحقيقة منذ ذلك التاريخ البعيد، منذ أن نسي الرومان عداوتهم مع الفرس، واخذ النصارى يعينون الفرس ضد الإسلام، في جنوب الجزيرة. ثم تجلت ضراوتها ووحشيتها في الأندلس عندنا زحفت الصليبية على القاعدة الإسلامية في أوربة، وارتكبت من الوحشية في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم هناك ما لم يعرف التاريخ له نظير من قبل[١]. وكذلك تجلت في الحروب الصليبية في الشرق، إذ اجمع المؤرخون أن الصليبين ذبحوا في يوم واحد سبعين ألف مسلم تذبيح النعاج حتى أن الدماء تجري انهاراً في المسجد الأقصى وشوارع القدس، فلم يرقبوا في مؤمن إلا ولا ذمة، ولم يرحموا كبيرا ولا صغيراً ولم يحترموا امرأة ولا طفلاً، ولم يوقروا عالما ولا شيخاً على حين عامل السلطان صلاح الدين الصليبين أحسن معاملة، وأكرمهم أسمى اكرام حين حرر بيت المقدس من اعتدائهم الأثيم، فما أراق دماً، ولا انتهك حرمة، ولا نقض عهداً، بل ظلت الكنائس والمعابد أمانة في يديه، وفي يد من جاء بعده يحسنون القيام بها، والحفاظ عليها. إلى أن دخل جيوش الحلفاء بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى وقال القائد الانكليزي (اللنبي): الآن انتهت الحروب الصليبية[٢]. وكذب لان الحروب الصليبية لم تنتهي بعد فهي حرب مستمرة لا يطفأ لهيبها حتى يهيئ الله من عباده من يكسر شوكة الكنيسة ويحطم أسوارها ويطفئ لهيب نارها، وانه لكائن بإذن الله. فما فعلته الصليبية في الدول الإسلامية في الماضي، وتفعله الآن في فلسطين والأندلس وليبيا، والفلبين، والحبشة، وقبرص، واريتريا، وزنجبار، وكينيا، وجنوب افريقية، والبوسنة والهرسك، وأفغانستان، والشيشان، والعراق وغيره اكبر دليل على العداء اللئيم والحقد الدفين الذي تأصل في كيانهم، وخالط شغاف قلوبهم قديما وحديثاً. وكل ذلك من اجل إطفاء نور الإسلام الذي توعد الله بحفظه، وأنى لهم ذلك، فهم ينفخون في قربة مفتوحة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ

(١) ينظر: في ظلال القران (٣/ ١٥٢٩- ١٦٣٠).
(٢) ينظر: دعوة اهل الكتاب لدين رب العباد (٣٤٠).

لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾[1].

والحق ان الحقد الصليبي زاد وخاصة في نفوس القادة الدينيين والسياسيين منذ الحروب الصليبية، وارتداد الصليبين على أدبارهم مهزومين اثر حروب دامت قرنين من الزمان، فولد هذا في نفوس هؤلاء أحقادا والاماً صعب عليهم ان ينسوها، فكان من نتائجها مخططاتهم الهادفة للغارة على العالم الإسلامي بحروب من نوع اخر، منها مخططات التنصير بين الشعوب الإسلامية او تحويل المسلمين عن دينهم ولو الى الإلحاد والكفر بكل دين. فقام المنصرون على اختلاف نزعاتهم الدينية، وتعدد مذاهبهم المتصارعة، وجمعياتهم التنصيرية، برسم خارطة العالم الإسلامي رسماً دقيقاً تناول جميع الحوانب البشرية وغير البشرية، واعدوا للعالم الإسلامي في خططهم للاغارة عليه حشداً عظيماً من ارساليات التنصير وعزموا ان يتناسوا ما بينهم من خلافات مذهبية عنيفة، بغية جمع طاقاتهم لمحاربة الإسلام، وهدم دعائمه، وتحويل المسلمين عن تعاليمه وايقاف امتداده الطبيعي[2]. واطفاء النور الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان جميلا بهم وهم يدّعون انهم أنصار رسالة سماوية ان يتآزروا مع المسلمين لمحاربة الإلحاد بالله، ولنشر الخير والفضيلة بين الشعوب، ومقاومة الشر والرذيلة، واقامة العدل والأمن والسلام العالمي، ونظائر هذه الأمور التي تلتقي عليها الاصول الصحيحة للشرائع السماوية كلها. فان لم يحل لهم التآزر مع المسلمين فلا اقل من تجنب كل من الفريقين حقول عمل الفريق الاخر، واماكن سيادته، او تجنب التماس والتصآدم ، حتى لا يظفر دعاة الإلحاد بالله، وحملة الوجودية، او الفوضوية المطلقة بكل منهما. الا ان كل الدلائل القولية والفعلية ما زالت تدل على ان المنصرين ينظرون الى الإسلام بتخوف شديد أكثر مما يتخوفون من دعوات الالحاد والوجودية والفوضوية المطلقة، وأكثر مما يتخوفون من الكتل البشرية الهائلة، التي قد تجمع نحو ثلث سكان الأرض في دولة واحدة، لا تدين

(١) الأنفال/ ٣٦.
(٢) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (٥٨- ٦٠).

بالديانـة المسيحية، اذ قـال المبشر "لـورنس بـراون": (لقد كنـا نخـوف بشـعوب مختلفـة، ولكننـا بعـد اختبـار لـم نجـد مبـرراً لمثـل هذه المخـاوف، لقد كنـا نخـوف مـن قبـل بـالخطر اليهـودي، وبـالخطر الأصـفر، وبـالخطر البلشـفي، الا ان هـذا التخـوف كلـه لـم يتفـق ومـا تخيلنـاه، اننـا وجـدنا اليهـود أصدقاء لنـا، وعلـى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينـا ان البلاشفة حلفاء لنـا، اما الشـعوب الصـفر فهنالـك دول ديمقراطيـة كبـرى تقاومهـا.. ولكـن الخطـر الحقيقـي كـامن فـي نظـام الإسـلام، وفـي قوتـه علـى التوسـع والإخضـاع، وفـي حيويتـه، انـه الجدار الوحيد في وجـه الاستعمار الأوربي)[١]. وقد عقدوا من اجل هذه الغاية (إطفاء نور الإسلام) مؤتمرات عدة إقليمية وعالمية منذ قرن من الزمـان والـى الآن، توافد إليهـا المنصـرون من كل مكـان، لتبـادل الآراء والمقترحـات حـول أنجـع الوسـائل واهم النتـائج، ورسموا لـذلك الخطـط، ووضـعوا البرامج[٢]، وقد وفد هؤلاء الـى البلاد الإسـلامية، وفـي حقـائبهم العلميـة، او الدعائيـة، او الدبلوماسـية، تعليمـات مكتوبـة وغيـر مكتوبـة، تحملهم مهمـات متعددة، واكب فريق منهم علـى دراسـة معـارف المسلمين دون ان يفدوا الـى بـلاد المسلمين، وكانت لهم مهمات خاصة أهمها ما يلي:

- **المهمـة الأولـى:**- هدم الإسـلام فـي عقائده، وعباداتـه، ونظمـه، وأخلاقـه بإضـافة أقنعـة مبهرجـة براقة، تخدع النـاظرين وتستميل نفوسهم وقلوبهم وأفكارهم، لتوقعهم فـي الشرك، حتـى اذا ظفروا بصيدهم شدوا عليهم وثاق الأسر المعنوي الشامل للأسر الفكري والقلبي والنفسي.
- **المهمـة الثانيـة:**- تجزئـة المسلمين أينما كانوا من الأرض، حتـى يمسوا أشتاتا متباعدة متنـافرة متقاطعة مبددة، لا تجمعهم جامعة، ولا تؤلف بين قلوبهم مودة.
- **المهمة الثالثة:**- تشويه صورة الأمة الإسلامية الحالية والغابرة، بكل وسيلة من وسائل الكذب والافتراء، والتزوير للحقائق، وذلك بغية حقن هذا الجيل من أحفاد المسلمين بالشعور بالنقص والتخلف.

---

(١) المصدر السابق (٧٤).

(٢) ينظر: الابطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الاديان (١١٩- ١٢٠).

- **المهمـة الرابعـة:**- خداع الشعوب الإسلامية، بربط كل صورة من صور التقدم الحضاري والمدني بخطة هدم الإسلام وتجزئة المسلمين، وخداع الشعوب الأخرى التي كان بينها وبين المسلمين مشاركات وطنية داخل البلاد الإسلامية وذلك بإلقاء مسؤولية تخلفها على المسلمين.

تلك مكائد النصارى الحاقدون، وهذا مكرهم لإضلال المسلمين والمتمعن في مهمات المنصرين يلاحظ ان كثيراً من الأفكار المشوهة عن الإسلام وأهله والمنتشرة بين صفوف الأجيال الحديثة من أبناء المسلمين، ليست الا أثرا مباشراً او غير مباشر، من أثار دسائس المبشرين، ومن ورائهم كيد يهودي يعمل لمصلحة نفسه، ويستغل جهود كل مفسد فأصبح المسلم في جميع أنحاء العالم يعاني من المشاكل التي يخلفها له المنصرون كون التهديد والهجوم التنصيري يغطي العالم كله، وعادة ما يكون المسلم ليناً متراخيا فهو يظن ان كل شي على ما يرام، ذلك لان الأمر مفروغ منه، فالله هو الذي يتولى أمر دينه إذ قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1]. أي ان الله في النهاية سيجعل الإسلام يسود ويعم، لذلك تجد المسلم يعيش حاملاً في ذهنه هذه الفكرة، فلماذا إذن يتحرك هو، لذلك فهو متهاون متخاذل بينما نجد ان المنصرين ينشطون ويحركون جماهيرهم، والناس في الغرب ليسوا متدينين عموماً فالذين يترددون على الكنيسة في أمريكا وبريطانيا هم ٣% فقط، ولكنهم يشكلون جبهة قوية جدا، وهم يحركون العالم كله وقد نشروا في العالم مئات الآلاف، وربما ملايين من الصليبين المتفرغين والذين يعتبرونهم مجاهدوا النصرانية، فهم متمرسون على عملهم، ويعرفون أهدافهم. وهم اليوم يتبجحون لأنهم استطاعوا تنصير الملايين من المسلمين[2]. ومما يشهد لروح التعصب المشبعة بالكراهية والحقد للإسلام والمسلمين، ما قاله القائد الفرنسي "غورو" عندما دخل دمشق في القرن العشرين منتصرا على الشعب العربي الأعزل في سورية، ووصل الى مثوى البطل الإسلامي صلاح الدين الأيوبي، ضرب قبره بقدمه، وقال قولته اللئيمة: (ها قد عدنا يا صلاح الدين) وهان عليه ان ينفس

(١) التوبة/ ٣٣، الصف/ ٨.
(٢) ينظر: هذه حياتي/ احمد ديدات (٨٧- ٨٨).

عن حقده أمام قبور الموتى، لأنه لم يجد في الأحياء من يرد بأسه. وما ذكره الألماني "بيلر" في قوله: (ان هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب ان الإسلام في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد الى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها)، ولدى تحليل الأسباب تحليلاً إنسانيا كريماً نجدها نوع من التعصب القبيح الذميم، وضيق الأفق النفسي، والأنانية الشديدة، وهي كلها مرفوضة لدى العقول السليمة، والأفكار المستقيمة، والنفوس الكريمة، التي تسعى الى الحق أينما كان، وتريد الخير لأنفسها وللإنسانية جمعاء. فالمسلمون لم يكن منهم في مواجهة اهل الكتاب الا الرفق واللين والتسامح والدعوة الخيرة، وهذا ما جعل النسبة العظمى من سكان البلاد التي دخلها الإسلام بما فيهم اهل الكتاب يسرعون الى الدخول في الإسلام طواعية دون إكراه، إدراكا منهم للحق، وشعورا بسلامة اسس الدعوة الجديدة، ومطابقتها للأسس الصحيحة التي يعلمونها من رسالة موسى وعيسى وسائر النبيين عليهم الصلاة والسلام وهذا ما دعا بعض المنصفين منهم إلى ان يعترف بذلك اعترافا صريحاً اذ يقول "غوستاف لوبون" : (ما عرف التاريخ فاتحاً اعدل ولا ارحم من العرب)[١]. وورد أيضا ان الجيش الإسلامي لما بلغ وادي الاردن بقيادة ابو عبيدة، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد الى العرب والمسلمين يقولون: (يا معشر المسلمين: انتم أحب الينا من الرومان وان كان الروم على ديننا، انتم أوفى وأرأف بنا، واكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا) وورد أيضا ان أهالي حمص غلقوا ابواب مدينتهم دون جيوش هرقل وابلغوا المسلمين ان ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم. ومما ذكره التاريخ بمليء الافتخار والاعتزاز ان عمر بن الخطاب ﷺ اقتص من ابن واليه (عمرو بن العاص) لضربه قبطياً بدون حق، ثم التفت الى عمرو، وقال له قولته المشهورة: (يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)[٢].

(١) ينظر: اجنحة المكر الثلاثة (١٨٦- ١٨٧).

(٢) ينظر: هذه الاقوال وغيرها في دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد (٢٣٨/ ٢٣٩).

ومما كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص عامله على مصر: (ان معك أهل ذمة، وعهدن وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، وأوصى بالقبط فقال: "فاستوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمة ورحماً")[١].

وأمام هذا المنطق الهادئ البعيد عن كل عنف وتعصب نجد الإسلام يُعلم المسلمين ان يقولوا للآخرين عند الجدال في قضايا الدين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [٢]. ومع هذا اللين والدعوة الهادئة يريد أهل الكتاب ان يردوا القران ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزيه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بأقاويلهم الباطلة الخارجة منها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه أو أصل تستند إليه حسبما حكي عنهم. وقيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث من الآفاق بنفخة. ونور الله هداه الصادر عن القران والشرع المنبث فمن حيث سماه نوراً سمي محاولة إفساده اطفاء، واخبر انهم يحاولون امرا جسيما بسعي ضعيف. وهكذا عادى اهل الكتاب الإسلام منذ البعثة المحمدية، وقصدوا بابطاله والقضاء عليه بالحرب والقتال ناحية، وبالطعن وافساد العقائد من ناحية أخرى، وكل من الأمرين أرادوه لإطفاء نوره[٣]. وقال الرازي: (المراد من النور: الدلائل الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ وهي كثيرة جداً منها[٤]:-

١-المعجزات القاهرة التي ظهرت على يده صلى الله عليه وسلم.

٢-القران العظيم الذي ظهر على لسان محمد ﷺ مع انه من اول عمره الى اخره ما تعلم وما طالع وما استفاد وما نظر في كتاب، وذلك من اعظم المعجزات.

٣-ان حاصل شريعته تعظيم الله على انه لا طريق إلى الله الا من هذا الوجه.

---

(١) المستدرك عل الصحيحين (٢/ ٦٠٣) ح/ ٤٠٣٢.

(٢) سبأ/ ٢٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط (٥/ ٤٠٥)، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ابي السعود محمد الهادي الحنفي، ط/١ دار الكتب العلمية ١٩٩٩م، (٣/ ١٤٣)، تفسير المراغي (٤/ ١٠٣).

(٤) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (١٦/ ٣٢).

٤-ان شرعه كان خالياً من جميع العيوب فليس فيه إثبات ما لا يليق بالله، وليس فيه دعوة لغير الله. وقد ملك البلاد العظيمة، وما غير طريقته في استحقار الدنيا، وعدم الالتفات اليها ولو كان مقصوده طلب الدنيا لما بقي الأمر كذلك. فهذه الأموال دلائل نيرة وبراهين قاهرة في صحة قوله.

والمنهج الذي حاول النصارى به إطفاء ذلك النور الذي أراد الله له ان يتم في كل مكان هو منهج يهودي وذلك لعدم استقبال الدعوة بالوجه الصحيح من سيدنا عيسى عليه السلام.

ويجب ان يكون مفهوماً ان هدف النصارى من عملهم هذا (إطفاء نور الله) ليس نقل المسلمين الى النصرانية، ولكن إخراج المسلمين من الإسلام بدليل قوله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾[٢]. وهناك دافع آخر وهو وقف ظاهرة الدخول في الإسلام، كما ان هناك أهداف أخرى كثيرة منها ما هو نفسي ومنها ما هو مادي.

الجانب الاجتماعي:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[٣] لقد نظم القران الكريم علاقات المسلمين ببعضهم وعلاقتهم بمن حولهم من البشر ولاسيما أصحاب الديانات السماوية تنظيماً دقيقاً قائماً على أساس المنطلق الرئيس في التعامل البشري وهو العدل والإحسان، وهذا التوجيه جاء من اجل تدعيم أسس المجتمع الإسلامي وقد اقترن ابتداءً بالذين لم يناصبوا المسلمين العداء، ولم يتخذوا القتال وسيلة للتعامل معهم، فدعا الى الإحسان إليهم معبراً عن هذا الإحسان ارق تعبير وأكثره قرباً إلى ذاته العلية فوصفه بـ (البر)

---

(١) البقرة/ ١٠٩.
(٢) البقرة/ ٢١٧.
(٣) الممتحنة/ ٨.

الذي توحي دلالته ببر الوالدين وهذا من عظيم السماحة واللطف. وتعد (هذه الآية رخصة من الله تعالى الذين لم يعادوا المسلمين ولم يقاتلوهم)[١]، وحرصاً من الإسلام على وحدة الأمة وتماسكها فانه كفل لغير المسلمين في بلاد الإسلام حرية عقائدهم، وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم، ومنحهم من الحرية والحماية، ومن العدل والرحمة قدر ما يمنحه للمسلمين من حقوق عامة. بل انه يندبُ المسلمين ان يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط مع المسالم منهم، لان للباطل رؤوس وأكابر، ولهؤلاء أتباع وجمهور، اما الرؤوس من الامراء والعلماء والمترفين والوجهاء، فقد شن القران عليهم حرباً لا هوادة فيها، فهاجمهم وعراهم وشخصهم بأسمائهم، او بصفاتهم، بل شتمهم وطعن فيهم، وهاجم العلماء غير المنضبطين، لان علماء السوء هم أساس البلاء ومصدر الفتنة والصد عن الحق والاهتداء فهم أولى الناس بالطعن، أما جمهورهم فهم قسمين[٢]:-

الأول:- يعادي الدين وأهله فهؤلاء يلحقون بالرؤوس بلا فرق.

الثاني:- مسالم أجاز بره والإحسان إليه.

وهنا يجب التنبيه على مسالة عقائدية مهمة وهو ان القران كفر المسالم منهم والمحارب، ولم يعترف لهم بدين إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٣]. وشبه تلك الجماهير السائمة الهائمة خلف علماء السوء بالصم والبكم والعمى إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[٤]

---

(١) الجامع لأحكام القران (١٨/ ٤٠).

(٢) ينظر: منهج القران الكريم في دعوة أهل الكتاب (٧١- ٧٣).

(٣) المائدة/ ٦٨.

(٤) البقرة/ ١٧١.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلن ان الدين الحق هو الإسلام وما عداه كفر وضلال لكنه لم يحارب احد من مواطنيه، اختلف معه في الدين او الرأي، ولم يغدر او يتآمر بالسر. ولم يفرض الإسلام عقيدته على احد من الناس، فان النصارى يؤدون عباداتهم، ويقيمون شعائرهم في حرية وأمان، ومن شدة حساسية الإسلام فيما سنه من تسامح فانه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين لما لهاتين العبادتين من صبغة دينية ومن الميثاق الذي واثق الله به الأمة المسلمة القوامة على البشرية بالعدل... العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودة والشنآن، ولا يتأثر بالقرابة والمصلحة أو الهوى في حال من الأحوال.

العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات. والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور.

فقد نهى الله أهل الإيمان من ان يحملهم الحقد والضغينة على عدم العدل. ثم دعاهم إلى العدل والقسط مع المبغوضين[١]. إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٢]. (أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل احد، صديقا كان أو عدواً، وعدلكم في هذه الحالة اقرب الى التقوى من تركه)[٣]. والحق انه لا يوجد في الأرض نظاما او عقيدة يكفل العدل المطلق للأعداء كما يكفله هذا الدين العظيم (الإسلام) الذي تكفل نظامه للناس جميعاً معتنقيه وغير معتنقيه ان يتمتعوا في ظله بالعدل، وان يكون هذا العدل فريضة على معتنقيه يتعاملون فيها مع ربهم، مهما لاقوا من الناس من بغض وشنآن. وفي الآية (دليل على نفوذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفوذ شهادته عليه، لأنه امر بالعدل وان ابغضه، ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له لما

(١) ينظر: في ظلال القران (٢/ ٨٥٢).
(٢) المائدة/ ٨.
(٣) تفسير القران العظيم (٢/ ٤١).

كان لأمره بالعدل فيه وجه. ودلت الآية أيضا على ان كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وان يقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وان الأمثلة بهم غير جائزة وان قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك، فليس لنا ان نقتلهم بمُثلة قصدا لإيصال الغم والحزن إليهم)[١]. فنحن مأمورون ان نعاملهم كما امرنا ربنا وهو احكم الحاكمين، اذ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[٢]، فالعدل الصارم ولو على أنفسكم او آبائكم او أبنائكم أو أهل مودتكم، هو ميزان الله الذي ينبغي ان يلتزم به المسلمون في معاملاتهم، ولا محاباة لغني او حتى لفقير نتيجة شعورنا بالعطف نحوه، فالعدل والحق الصراح هو الميزان الدقيق الذي قامت عليه السموات والأرض، فلا تميلوا يمنة ولا يسرة، ولكن التزموا بهذا الميزان الذي لا يفضل مسلماً على كافر ولا قريباً على بعيد، ولا صديقاً على عدو في ميزان العدل والإنصاف. انه ميزان قد تحقق على واقع الأرض بما لا تعرف له البشرية مثيلاً في تاريخها الطويل، ولم ترق امة من الأمم إلى بعض ما وصلت إليه امة الإسلام من عدل وإنصاف[٣]. ولقد اثبت التاريخ حقيقة رائعة وهو ان النصرانية تستطيع ان تعيش في ظل الإسلام معيشة طيبة إذا حكم، ولكن اذا حكمت هي لا تسمح للإسلام ان يعيش في ظلها، وقد مضت قرون طوال على انفراد الإسلام بالسلطة المطلقة في العالم اجمع، ولو شاء المسلمون خلالها ان يبيدوا خصومهم لفعلوا، ولكن الذي حدث ان المسلمين كفلوا الحياة لخصومهم ودافعوا عنهم كما يدافعون عن دماءهم وأموالهم، فلما انتقل زمام القوة من أيدي المسلمين تحين أعداءهم كل فرصة للإيقاع بهم مما أدى إلى ان استؤصل المسلمون من بقاع شتى في أنحاء العالم[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القران (٦/ ٧٣).
(٢) النساء/ ١٣٥.
(٣) ينظر: معاملة غير المسلمين (٢٠).
(٤) ينظر: الميزان في مقارنة الأديان (٢٩٥- ٢٩٦).

ومع ذلك يعيش النصارى في بلاد الإسلام حتى اليوم وهم في قمة الاحترام، وفي ذروة التسامح والعدل والإنصاف منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن، لم تهدد حقوقهم او تخدش حرماتهم.

المودة بين النصارى والمسلمين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

الإسلام دين المودة والرحمة، دين التآخي والمحبة فمن دخله بصدق وإخلاص شرح الله صدره وانار له دربه، ويسر له امره، وهداه الى الصراط المستقيم، اما من عاند وتكبر واعرض عن الحق واتبع قوله هواه فأمره الى الله، فهو شديد العداوة للمؤمنين يفرح بشقائهم ويحزن لفرحهم، وقد ذكر الله تعالى حال الفريقين في الآية أعلاه، والتي ورد في سبب نزولها، أنها نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليه المسلمون في الهجرة الأولى، وأكرمهم وقال لهم: تعرفون شيئاً مما انزل عليكم؟ قالوا: نعم. قال: اقرؤوا، وحوله القسيسون والرهبان، فكلما قرؤوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2].

(١) المائدة/ ٨٢.
(٢) المائدة/ ٨٢، ٨٣.

وقال آخرون: قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه ومعهم سبعون رجلاً بعثهم النجاشي وفداً إلى رسول الله ﷺ عليهم ثياب الصوف فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة (يس) إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القران، وامنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فانزل الله تعالى فيهم هذه الآيات[١]. وورد في تفسير مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: ((ولتجدن أقربهم مودة)) . (ليس يعني في الحب، ولكن في سرعة الإجابة للإيمان، وكانوا لا يتكبرون عن الإيمان)[٢]. وقال الطبري رحمه الله: (والصواب في ذلك من القول عندي: ان الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: انا نصارى: ان نبي الله ﷺ يجدهم اقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسم لنا أسماءهم. وقد يجوز ان يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي، ويجوز ان يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام، فاسلموا لما سمعوا القران وعرفوا انه الحق، ولم يستكبروا عنه)[٣]. وقال ابن كثير رحمه الله: (الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع عيسى، وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذلك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾[٤]. وفي كتابهم: [من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الأيسر][٥])[٦]. وجاء في تفسير روح البيان انه لم يرد بالآية جميع النصارى لأنهم في عدوانهم للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، اذ لا مودة ولا كرامة لهم بل الآية نزلت فيمن اسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه[٧].

---

(١) ينظر: أسباب النزول (١١٣).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان، أبي الحسن مقاتل بن بشير الازدي، تحقيق احمد فريد. ط/١ دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م. (١/ ١٣٦).

(٣) جامع البيان (٧/ ٣).

(٤) الحديد/ ٢٧.

(٥) متي [٥/ ٣٩]، لوقا [٦، ٢٩].

(٦) تفسير القران العظيم (٢/ ١٠٩).

(٧) ينظر: روح البيان في تفسير القران (٢/ ٤٠٨).

وقيل ان ذلك ليس في النصارى جميعاً، بل يخص النصارى الذين مالهم الدخول في الإسلام متى عرض علهم، أما التيار العام الذي يمثل موقف النصارى جملة فهو تلك الحروب الصليبية المشهورة طوال قرنين من الزمن، كما تجلت حروب الإبادة التي شنتها الصليبية على الإسلام والمسلمين في الأندلس، ثم في حملات التنصير على الممالك الإسلامية في افريقية اولا ثم في العالم كله أخيرا(١). كما ورد في معنى الآية: ان لتجدن –ايها الرسول اقرب الناس مودة وأكثرهم محبة للذين امنوا بك وصدقوك الذين قالوا انا نصارى هم أتباع عيسى بن مريم عليه السلام لما غرست تعاليمه فيهم من الرقة والرأفة والبعد عن التعصب الديني نوعاً ما بالنسبة لليهود. وأما الواد الأعظم من النصارى الذين غرقوا في بحار التعصب، ولم ينظروا ولم يفكروا وقالوا: انا وجدنا آبائنا على امة، او من عرفوا الحق واعرضوا عنه(٢). فهؤلاء وهؤلاء قال الله فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾(٣). وذكر الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير الآية: ان النبي (صلى الله عليه وسلم) ، قد رأى من النصارى خيراً، فتلقى نصارى الحبشة المؤمنين المهاجرين إليها بالحماية والتكريم، هرباً من أذى المشركين ورد هرقل ملك الروم النصارى كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) رداً حسناً، بعد ان حاول إقناع رعيته بقبول الإسلام، وكان المقوقس عظيم القبط في مصر أحسن منه رداً، فأرسل الى النبي(صلى الله عليه وسلم) هدية، وبعد فتح مصر والشام اسلم كثير من النصارى في تلك البلاد، لما رؤوا في الإسلام من مزايا، واسلم النجاشي ملك الحبشة مع بطانته، ولما مات صلى عليه النبي صلاة الجنازة على الغائب ونعاه الناس. وكان سبب مودة النصارى للمؤمنين إنه يوجد فيهم قسيسون ورهبان يدعون للإيمان والفضيلة والتواضع، والزهد، والتقشف، ولا يستكبرون عن سماع الحق والإنصاف، وينقادون له، فوصفهم الله بالعلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق وإتباعه، والإنصاف، وإذا سمعوا

(١) ينظر: الاساس في التفسير (٣/ ١٤٦١).
(٢) ينظر: التفسير الواضح (٧/ ٣).
(٣) المائدة/ ٨٦.

شيئاً من القران المنزل على الرسول محمد ﷺ، بكوا بكاءً حاراً غزيراً تعاطفاً مع كلام الله، وما عرفوا من الحق، مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ [١]. وجاء في تفسير الضلال: ان هذه الآيات لا تدع مجالاً للشك انها تصور حالة معينة، وهي التي ينطبق عليها هذا التقرير المعين، فان الكثيرين يخطئون فهم مدلولها، ويجعلون منها مادة للتميع المؤذي في تقدير المسلمين، لموقفهم من المعسكرات المختلفة، وموقف هذه المعسكرات منهم.. ان الحالة التي تصورها هذه الآيات هي حالة فئة من الناس، قالوا: إنا نصارى هم اقرب مودة للذين امنوا، فمنهم من يعرف حقيقة دين النصارى فلا يستكبرون على الحق حين يتبين لهم، وهؤلاء لا يترددون في إعلان استجابتهم للإسلام، والانضمام الى الصف المسلم، وهو فريق علم الله منه صدق قوله فقبله في صفوف المحسنين. ولكن السياق القراني لا يقف عند هذا الحد في تحديد ملامح هذا الفريق من الناس الذين تجدهم اقرب مودة للذين امنوا. بل انه ليمضي فيميزه من الفريق الآخر من الذين قالوا انا نصارى ممن يسمعون هذا الحق فيكفرون به ويكذبون، ولا يستجيبون له، ولا ينضمون إلى صفوف الشاهدين[٢]. والمتمعن في هذه الأقوال يرى انه لا تعارض بينها في المعنى، اذ ان النجاشي كان مؤمناً، وليس كل النصارى على هذه الشاكلة، بل ان كثير منهم مالئوا اليهود، رغم ما بينهم من عداوات واحن ضد المسلمين في كل زمان ومكان، ومواقف الفرنجة على مدى التاريخ مواقف معادية اشد المعاداة للمسلمين على نقيض ما كان بين المسلمين ونصارى الحبشة او نصارى نجران من العرب او نصارى مصر من القبط، فهؤلاء جميعاً كانت علاقتهم بالمسلمين تمتاز بالمودة وحسن الصلة، فقد أحسن إليهم المسلمون وتزوجوا منهم وصاهروهم، وأما نصارى الفرنجة والروم فقد حاربوا المسلمين وذبحوهم في الحروب الصليبية وقتلوا النساء والأطفال، وبلغت الدماء الى عنان الخيل ولجمها في المسجد الأقصى حين دخلوا بيت المقدس، ومجازرهم في

---

(١) ينظر: التفسير المنير (٧/ ٨- ٩).

(٢) ينظر: في ظلال القران (٢/ ٩٦٣- ٩٦٤)، سلسلة المناهج، هاشم محمد علي، ط/١، الكويت: دار البيان ١٩٩٠م (٣/ ١٤٦).

الأندلس تملأ الأسفار، ولم يرعوا عهد ولا ذمة، ولم يروا في نقض العهود أي غضاضة، بل ان البابا كان يحضهم على ذلك، ويبيح لهم قتل النساء والأطفال والشيوخ، وأحقاد الصليبية على الإسلام والمسلمين أعيت المداوين وانتشر سوادها في الأولين والآخرين وبغضاؤهم للإسلام لم تنقص بل ظلت في نماء، وسخطهم على أهله لا تزيده الليالي الا ضراماً وأجيالهم لا يتوارثون غير كراهية المسلمين والسطو على بلادهم، ولقد بلغ من كراهيتهم للإسلام وأهله حداً اتفقوا فيه مع اليهود الذين كانوا يرمون المسيح عليه السلام بالكذب والدجل، ويتهمونه بالسحر، ويقذفون امه بالبهتان، بل انهم نزعوا تاريخه من كتبهم. والأدهى من ذلك ان الكنيسة عندما رتبت أعداءها الألداء كان الإسلام أول اؤلئك الأعداء، وزاد الطين بلة عندما حالفت النصرانية المجوسية ولو كانت كفراً بالله واليهودية ولو كانت تحقر المسيح، كما حالفت الإباحية التي جعلت الأعراض كلها مباحة، وتركتها تنتشر في الغرب ثم تنتقل بعد ذلك إلى الشرق الإسلامي. كل ذلك من اجل القضاء على الإسلام والمسلمين[١]. والمتمعن في احوال النصارى يرى ان النصارى الذين كانوا يعيشون في زمن الرعيل الأول من المسلمين كانوا اقرب مودة للمسلمين من نصارى اليوم، ويمكن ان يعزى السبب الى قرب عهدهم بالمسيح وتلاميذه، ومن ثم الفطرة السليمة التي غلبت الجانب السياسي والاقتصادي عند النجاشي وأصحابه الذين امنوا، بالإضافة إلى صدق وإخلاص الرعيل الأول من دعاة المسلمين والله اعلم.

طعام أهل الكتاب ونسائهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٢].

---

(١) ينظر: الميزان في مقارنة الأديان (٢٩٥- ٢٩٨).

(٢) المائدة/ ٥.

هذه صفحة بيضاء نقية من صفحات السماحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي، او تربطهم به روابط الذمة والعهد من أهل الكتاب. ان الإسلام لا يكتفي بان يترك لهم حريتهم الدينية، ثم يعتزلهم فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين او منبوذين، إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمجاملة والسماحة والاختلاط، فيجعل طعامهم حلاً للمسلمين وطعام المسلمين حلاً لهم كذلك ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة، ليظل المجتمع كله في ظل السماحة والتعاطف، وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم –وهن المحصنات– يعني الحرائر طيبات للمسلمين، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر من المسلمات، وهذه السماحة لم يشعر بها الا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل، فان الكاثوليكي المسيحي ليتحرج من نكاح الأرثوذكسية او البروتستانتية ولا يقدم على ذلك الا المتحللون من العقيدة. ومن هذا يتبين ان الإسلام هو صاحب المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي، لا عزلة فيه بين اتباعه وأتباع الديانات السماوية الأخرى، ولا حواجز بين أصحاب العقائد الأخرى، التي تظلها راية المجتمع الإسلامي، فيما يختص بالتعايش والسلوك والتعامل وما الى ذلك من الأمور التي تكفل للجميع العيش تحت راية الإسلام(١).

وما أباح الإسلام نكاح نساء أهل الكتاب واكل طعامهم الا لإقامة علاقات اجتماعية ووشائج الرحمة في المجتمع، ما عدا ما نص عليه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ ﴾(٢) .

(١) ينظر: في ظلال القران: (٢/ ٨٤٨– ٨٤٩).
(٢) المائدة/ ٣.

ولا يباح كذلك كل ما اسكر من شرابهم، وما عدا ذلك فقد اباحه الله سبحانه وتعالى للمسلمين، كما يباح لاهل الكتاب طعام المسلمين كله، وعندما اباح نكاح العفيفات من المؤمنات، والمحصنات العفيفات من اهل الكتاب نكاحاً شرعياً بصداق وإيجاب وقبول وولي، فلهن أجورهن، ولا يتخذن خليلات أو مسافحات(١). قال القرطبي: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ هو على العهد دون دون دار الحرب فيكون خاصاً. اذ لا يتصور قيام حالات زواج من كتابية محاربة وأهلها محاربون للمسلمين، والناس في حالة حرب. فإذا انتهت الحرب بموادعة جاز الزواج، وأما أهل الذمة المقيمون بين ظهراني المسلمين فلا شك في جواز التزوج منهن. وقال ابن عباس: "المحصنات" العفيفات العاقلات. وقال الشعبي: هو ان تحصن فرجها فلا تزني، وقال مجاهد: "المحصنات" الحرائر. وقال ابو عبيد: انه لا يحل نكاح إماء أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(٢)، وهذا القول عليه جل العلماء.

اما الطعام فهو اسم لما يؤكل ، والذبائح منه، وهو هنا خاص بالذبائح عند كثير من أهل العلم والتأويل. اما ما حرم علينا من طعامهم فليس بداخل تحت عموم الخطاب، وأما قوله ((وطعامكم حل لهم)) ففيه دليل على أنهم مخاطبون بتفاصيل شرعنا، أي إذا اشتروا منا اللحم يحل لهم اللحم ويحل لنا الثمن المأخوذ منهم(٣). وقال ابن كثير رحمه الله: (لما ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث، وما أحله لهم من الطيبات ذكر حكم الذبائح فقال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ قيل ذبائحهم وهذا مجمع عليه بين العلماء: ان ذبائحهم حلال للمسلمين، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم الا اسم الله، وان اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عن قولهم –تعالى وتقدس– وقوله تعالى: ((وطعامكم حل لهم)) أي ويحل لكم ان تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم، وهذا من باب المكافأة او المقابلة والمجازاة

(١) ينظر: معاملة غير المسلمين(٥٦– ٥٧).
(٢) النساء/ ٢٥.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القران (٢/ ٨٤٨).

كما البس النبي ﷺ ثوبه لعبد الله بن أبي سلول حين مات ودفنه فيه. قالوا: لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه، فجازاه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك[١]. ويظهر من ذلك ان المسلمين كانوا في منتهى التسامح مع غير المسلمين بشرط ان لا يظهروا العداء للإسلام والمسلمين، على عكس ما يفعله اهل الكتاب عندما تكون لهم الشوكة، فلا يرى المسلمون منهم الا الذبح. كما أجاز الإسلام الإهداء إلى اهل الكتاب وقبول هديتهم، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعى الى طعام يهود المدينة فيجيب دعوتهم، ويأكل مما يقدم إليه من طعامهم وقد كان السلف الصالح يهدون للمشركين وليس بينهم وبينهم مودة. وقد أوصى الإسلام بصلة الرحم الكافرة من المال ونحوه اذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ ﴾[٢]

فأباحت الآية الأقساط والمصاحبة بالمعروف ، وإسداء البر والخير. كما أوصى الشرع الحنيف بالرحمة العامة للجميع كالإطعام والشراب والمداواة، والإنقاذ من التهلكة، وتجنب الأذى، لقوله صلى اله عليه وسلم: (ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء)[٣]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (في كل ذي كبد رطبة اجر)[٤]، كما حرم الإسلام أذية غير المسلم في ماله ودمه وعرضه ان كان غير محارب لقوله صلى الله عليه وسلم: (من آذى ذمياً فانا خصمه يوم القيامة)[٥].

(١) ينظر: تفسير القران العظيم (٢/ ٢٨- ٢٩).
(٢) لقمان/ ١٥.
(٣) المستدرك على الصحيحين: ح (٧٦٣١)، (٤/ ٢٧٧).
(٤) مسلم: كتاب: السلام، باب: فضل ساقي البهائم، ح (٢٢٤٤).
(٥) عمدة القارئ على شرح صحيح البخاري: باب: من قتل معاهدا بغير حرم، (١٥/ ٨٥).

كما أجاز الإسلام عيادة المريض وان كان كافراً، فقد عاد النبي ﷺ الغلام اليهودي وقال له: اسلم، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم ، فاسلم الغلام، وفاضت روحه من ساعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه (صلوا على أخيكم)[١]، كما يجوز أيضا البيع والشراء معهم وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهوناً عند يهودي[٢]. ولقد سمح الإسلام بالتداوي عند الأطباء غير المسلمين، وخاصة عند عدم توافر الطبيب المسلم الحاذق، فقد كان لمعاوية طبيبان نصرانيان وكان لعمر بن عبد العزيز طبيب نصراني، واستمر هذا الأمر حتى يومنا هذان اذ كان للولاة والأمراء أطباء نصارى وغيرهم من أهل الملل الأخرى. فما ابرك هذا الدين على البشرية جمعاء، ولا سبيل للبشرية بالخلاص مما هي فيه من ظلم وظلمات إلا بالاهتداء بأنوار هذا الدين الداعي إلى المحبة والوئام والسلام[٣]. بل كان هذا الدين بركة على كثير من الأقوام، فعندما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم. جويرية بنت الحارث رضي الله عنها اسلم بإسلامها بنو المصطلق جميعهم فكانت بركة على قومها في الدنيا والآخرة. وكذلك زواج النبي صلى الله عليه وسلم من ماريه القبطية كانت بركة على القبط إذ قال صلى الله عليه وسلم: (فاستوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمة ورحماً)[٤]. ومع كل هذه السماحة والعلاقات الاجتماعية التي أوصى بها الإسلام، لكنه ليس على حساب العقيدة فلا يجوز ان نقيم معهم العلاقات التي يرفضها شرعنا الحنيف، ولا يجوز التشبه بهم في الملبس، والكلام وغيرها لقوله ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)[٥]. فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم او من عاداتهم، وعباداتهم، وسمتهم، وأخلاقهم: كحلق الرأس وإطالة الشوارب وغير ذلك. كما لا يجوز مشاركتهم في أعيادهم او مساعدتهم في إقامتها او حضور إقامتها.

---

(١) مسند أحمد، (٣/ ٢٠٦).

(٢) ينظر: دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد (٣٣٣).

(٣) ينظر: معاملة غير المسلمين (٢١٣- ٢١٤).

(٤) المستدرك على الصحيحين، ح(٤٠٣٢)، (٢/ ٦٠٣).

(٥) مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط/٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦: (١/ ٢٤٤).

كما لا يجوز مدحهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، دون النظر إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم الفاسد.

وكذلك عدم الاستغفار لهم، والترحم عليهم لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[1].

وهكذا ملأ النظام الإسلامي الأرض بالعدل السامي الذي لم تصل إليه امة من الأمم لا في الماضي ولا في الحاضر ولن تصل اليه حتى في المستقبل المنظور. اما التحديد الصارم الوارد في قوله تعالى ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2].

إنما جاء ليوجه المسلمين بوصفهم كياناً او دولة او ديناً او مجتمعاً وهذا لا يحول دون ان تقوم العلاقة بين الأفراد من الديانات المختلفة مثل العلاقة بين المسلمين وغيرهم على البر والإحسان والتعاون في ظل عدم المحاربة التي تمنع قيام أواصر التعاون بين الناس.

---

(١) التوبة/ ١١٣.

(٢) آل عمران/ ٢٨.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد فضل الله تعالى ونعمته علي وبعون منه وتوفيق اتممت كتابة هذا البحث ومن خلاله توصلت الى النتائج الاتية

- منذ المراحل الاولى لدعوة المسيح عليه السلام كان هناك رفض يهودي واسع لهذه الدعوة لان مقومات الحق والدعوة التي جاء بها المسيح عليه السلام تتعارض مع وضع اليهود الملتوي والمنحرف عن نهج العقيدة الصحيحة التي جاء بها موسى عليه السلام .
- ان القوم الذين بعث فيهم المسيح عليه السلام كانوا غلاظ الرقاب قساة القلوب وقد عكفوا على حب الدنيا وجمع اموالها فاستولت على مشاعرهم حتى اخذوا يجمعون القرابين من اشد الناس حاجة وفقرا .
- ولما تقدم ذكره وغيره كثير ، واجه اصحاب المسيح عليه السلام القتل والتشريد والاعدام لتلاميذ المسيح بعد حادثة الصلب التي وقعت للمسيح عليه السلام .
- بعد تسلم النصرانية مقاليد السلطة العليا كانت منشغلة جدا في الكشف عن قسوة مخالفيهم وعداوتهم ثم الاقتداء بهم في سلوكهم الى حد ان تحول هؤلاء المستضعفين الى جلادين قساة بحق اعداءهم من اليهود.
- وفي سنة ١٩٢٠ م قضى الانكليز على اليهود بالنفي وتبعهم في ذلك الفرنسيون وسرى هذا الامر الى اغلب شعوب اوربا الوسطى.
- لم يقف الحد عند النصارى الى حد القتل والطرد والتعذيب ومحاولة تجريدهم للهيود من قدراتهم الاقتصادية ، وصبغهم بالصبغة المسيحية بل وصل الحد بالنصارى الى انتزاع ابناء اليهود بالقوة منهم وتربيتهم تربية مسيحية .

- من الواضح والمعلوم ان الدين الاسلامي الذي ختم الله تعالى به جميع الاديان هو موجه الى الناس كافة ، وليس لقبيلة او اقوم او حتى للعرب فقط فالقران الكريم يخاطب البشر كلهم (يا ايها الناس) وقد ورد هذا القول في القران الكريم اكثر من (٢٠٠) مرة ومن هنا يتميز ديننا بعد العنصرية او الفئوية .
- مع عمومية دعوته صلى الله عليه وسلم وعدم حصرها في قوم او جنس معينيين الا ان النصارى لم يؤمنوا بهذه الدعوة ولا بنبيها مع علمهم الجازم بنبوته ودعوته .
- امرنا بنصوص من القران الكريم بعدم موالاة الكفار لأسباب كثيرة ، ومن تلك النصوص : قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ منعنا من موالاتهم لا سباب منها :

انهم لا يمنعون الفساد والاضطراب عنا بدليل قوله تعالى (لا يالونكم خبالا) والخبال هو الفساد والاضطراب وهما شيئان متلازمان اين ما وقع الفساد وجد الاضطراب والعكس صحيح. يرغبون بالفساد والبوار للمسلمين ودليل ذلك قوله تعالى (ودوا ما عنتم)عليه هم لا يرغبون سعادة ولا رفاهية للمسلمين .

قد بدت عليهم العداوة والبغضاء للمسلمين ولكن ما خفي كان اعظم ودليل ذلك قوله تعالى (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر) اي ما تخفي صدورهم وما تنطوي عليه نفوسهم اكثر مما تظهر .

- حاولوا بكل الطرق والوسائل اخماد نور الرسالة المحمدية ولكن الله تعالى ابى الا ان يتم نوره يقول تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

- كانت لهم محاولات كثيرة وخطيرة تهدف الى زعزعة هذا الدين ومن تلك المحاولات :

- هدم الاسلام في عقائده وعباداته ونظمه بإضافة اقنعة براقة تخدع الناظرين وتستميل نفوسهم .
- تجزئة المسلمين اينما كانوا من الارض حتى يمسوا شتاتا ما تباعده متنافرة متقاطعة لا تجمعهم جامعة.
- خداع الشعوب الاسلامية بربط كل صور التقدم الحضاري والمدني بخطة هدم الاسلام وتجزئة المسلمين .

المصادر والمرجع

- الإبطـال لنظريـة الخلـط بـين ديـن الإسـلام وغيـره مـن الأديـان. بكـر بـن عبـد الله. ط/٤، الرياض: مطابع أضواء البيان ٢٠٠٠م.
- أحكام القران، ابي بكر احمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)
- احكام القران، ابي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، دار الفكر، ١٩٧٢م.
- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ابي السعود محمد الهادي الحنفي، ط/١ دار الكتب العلمية ١٩٩٩م.
- إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، احمد عبد الوهاب، ط/١- القاهرة ١٩٧٢م
- إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، احمد عبد الوهاب، ط/١- القاهرة ١٩٧٢م
- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام . عبد الله التل. ط/ ١٢، المكتب الإسلامي، بيروت (د.ت)
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م
- بحر العلوم: ابي ليث نصر بن محمد السمرقندي ط/١، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣م.
- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، عزت دروزه، (د.ط) بيروت: المكتبة العصرية ١٩٦٨م.
- تفسير القران العظيم، ابن كثير، د.ط، القاهرة: دار الحديث ٢٠٠٣م.
- تفسير المراغي، مصطفى احمد المراغي، ط/٣ (د.م) ١٩٧٤م
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبي الحسن مقاتل بن بشير الازدي، تحقيق احمد فريد. ط/١ دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.
- الخطر المحيط بالإسلام، الجنرال جواد رفعت (د.ط) بغداد ١٩٦٥م.
- دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد ، يعيد عبد العظيم، (د.ط) الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٥م.

- روح البيان في تفسير القران، (د.ط) بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.
- سلسلة المناهج، هاشم محمد علي، ط/١، الكويت: دار البيان ١٩٩٠م.
- الشخصية اليهودية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط/١ دمشق: دار القلم ١٩٩٨م.
- فتح القدير الشوكاني ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٤م .
- محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ط/٣ القاهرة: دار الفكر العربي١٩٦١م.
- المسيحية، د. احمد الشلبي، ط/٨ مصر: مكتبة النهضة ١٩٩٩م.
- المقتطف في عيون التفسير، مصطفى الحصن المنصوري، دار السلام، القاهرة، ط/١، ١٩٩٦م
- منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، أبي الحسن علي بن محمد ابن الدريهم المصري ت ٧٦٢هـ، تحقيق سيد كسروي ط/١ لبنان: دار الكتب العلمية .
- موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وابطال شبهاتهم حوله، د. سارة بنت حامد بن محمد، ط/١، الرياض: مكتبة الرشد
- الميزان في مقارنة الأديان، محمد رفعت طهطاوي، ط/٢ دمشق: دار القلم ٢٠٠٢م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان ابي الحسن إبراهيم البقاعي، ط/١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٩٧٤م
- الوسيط في تفسير القران المجيد، الواحدي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م
- اليهود تاريخاً وعقيدة، د. كامل سعفان، (د.ط) القاهرة: دار الاعتصام (د.ت)